

بغداد - واشنطن الممكن والمستحيل

كلما التقى مسؤولان ، عراقي وأمريكي ،
تصرفا وكأنهما داخل غرفة معتمة ، لا يرى
أحدهما الآخر . ويحاول الإثنان معرفة بعضهما
، فلا يجدان غير ان يتلمس كل منهما وجه الآخر
بأصابع يديه .

كان الإسلوب الذي فضل العراقيون التعامل به مع الولايات المتحدة أقرب الى التطابق مع مثل أمريكي ترد فيه كلمة (Bush) التي تحمل مفرجات اسم الرئيس الامريكي ، وهي في هذا المثل تدل على معناها الدارج ، إنذ يتجاوز الامريكان مثلاً يقول Bush The Around Beat tDon ويعود هذا المثل في أصله الى مواسم الصيد ، حيث اعتاد الصيادون ان يجوروا حول الأحراش (Bush) ليقرعوا الطبول بإنظار ان تخرج الطرائد من أعماق الأحراش لتصبح صيداً ممناً أمامهم .. وصار المثل يُضرب عندما يُراد من المقابل ان يذهب الى موضوعه مباشرة بدون لف ، أو دوران ، يشبه الدوران حول الأحراش

وقد تلمس جورج شولتز عندما كان وزيراً للخارجية سنة 1988 خاصية المباشرة التي تخلو إحياناً من اللياقة في شخصيات بعض المحاورين العراقيين.. إنذ قال غير مرة للمقربين منه بعد لقاءاته مع طارق عزيز وزير خارجية العراق آنذاك :

– ليس هناك مشكلة مع العراقيين ، ومع وزير خارجيتهم ، إنذ ليس لديه لغتان .. فهو صريح ومباشر ، وكان يقول لنا صراحة ما تقبل به بلاده وما لا تقبل .. اما الوزراء العرب الآخرون فإنهم مزدوجون .

ظلت العلاقات بين واشنطن وبغداد تتأرجح طوال ربع قرن في أجواء انعدام الثقة المتأتي من عاملين :

الاول : تحسس العراق من قوة النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة .

الثاني : عدم معرفة الطرفين لبعضهما ، وحادثة علاقة كل منهما بالآخر ، قياساً الى علاقة العراق ببريطانيا مثلاً .

وزاد هذين العاملين حساسية وتعقيداً سعي العراق للتعامل كطرف مستقل لا كطرف تابع ، سواء في لحظة التوافق ، أم لحظة الإصطدام .

وفي كل الأحوال .. كان هناك منطقتان مفترقتان ، فكلمنا ضرب العراقيون المثل الأول ، أجابهم أمريكيون بمثل آخر يقول : them beat tcan You if them Join (اذا لم تتمكن منهم .. فانضم اليهم) .

وبدا ان المثليين يضربان للتفريق بين منطقتين .. وهو امر كاف للتنبؤ بعنق سوء الفهم وانعدام اللغة المشتركة ..

هل يؤدي سوء الفهم بين حضارتين الى الحرب أحياناً ..؟ أم ان سوء الفهم بين نموذجين يؤدي الى الصهدام حتماً ..؟

وهل كان العراق يعرف امريكا ؟ وهل كانت امريكا تعرف العراق ؟

أسئلة شغلت سياسيي البلدين الى الحد الذي صار بعض العراقيين يستنجون ان الصهدام صار محتماً في اللحظة التي افترض الإثنان أنهما عرفا بعضهما .. فأدركا أنهما مفترقان .. مع إنهما لم يكونا قد عرفا بعضهما حقاً ، بعد ان كانا قد جربا تأسيس علاقات بناءة يسبقها حوار ومحاولة تفهم ، لكن الحوار في نوعه وطريقة اجرائه وتوقيته لم يقطع الطريق على الصهدام المحتم .

كان التداخل عميقاً الى الحد الذي شعر الأمريكيون والعراقيون أنهم لكي يعرفوا بعضهم بعضاً يحتاجون معاً لوضع قاموس مشترك حتى في مفردات التخاطب ، وطوال المدة من سنة 1984 ، عندما أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين واشنطن وبغداد ، وحتى 1988 عنجما انتهت الحرب العراقية الايرانية ، نشط العراق ليحذف وصف التطرف عن سياسته الخارجية وصورة قياداته أمام المتلقي الامريكي ، فاستبدل السياسيون والباحثون الامريكان وصف (منطرفون) Extermists الذي كانوا يطلقونه على العراقيين بإستخدام وصف (معتدلون) Moderates ، وكأنهم أرادوا بذلك ان يوسعوا دائرة التفاهم ، لكن العراقيين تحفظوا على هذا الوصف أيضاً ، وكان السيد طارق عزيز الذي اعتاد ان يتحدث أمام مجلس الشؤون الخارجية الأمريكي في نيويورك ، لدى حضوره إجتماعات الجمعية العامة سنوياً ، يرى في شرح تحفظه على وصف المعتدلين .. ان الأمر أعرق من المشكلة الاصطلاحية ، ويتعلق بتقديم الوصف المختزل السريع الذي يمكن أن تتشكل منه صورة بلاده في أمريكا ولدى الغرب عموماً ، وخاطب مستمعيه من الباحثين :

– إننا لا نميل لتسمية نظامنا بالنظام المعتدل ، لأن ذلك يخلق التباساً في تحديد درجة الاعتدال وطريقة القياس ، ثم مع مين يكون الاعتدال وأين يكون .. ؟ .. لذلك نفضل ان يوصف نظامنا بأنه نظام (مسؤول) Responsible .

يذهب السيد عزيز الى ان مدرستين في التفكير حول طريقة التعامل مع العراق نشأتا في امريكا منذ إعادة العلاقات الدبلوماسية سنة 1984 ، بعد ان تيقن الأمريكيان ان العراق لن يهزم في الحرب أمام إيران .

ظهر دعاة لا يترددون في التصريح بأن العراق هو ركيزة قوية مضمونة في منطقة مضطربة ، ويطرحون سؤالاً أكثر تحديداً : لماذا لا تتحالف مع العراق إذن ؟ .. وكان من بين هؤلاء الدعاة أعضاء في مجالس البحوث ، وأمريكان من أصل عربي ، وسياسيون ، ومعظم هؤلاء كانوا قد زاروا العراق ودرسوا

أوضاعه مباشرة ، لكن هذه المدرسة لم تكن قوية بحيث تؤثر مباشرة في صنع القرار السياسي رغم أن أصوات أصحابها كانت مسموعة .

جاء أمريكيون من أصل عربية ليلبغوا العراق رسالة واضحة منتصف الثمانينات :

” أن هناك أوساطاً أمريكية تفكر جدياً بتسليم ملف الشرق الأوسط الى العراق ، بما في ذلك دعوته ليتفاوض مع إسرائيل لمعالجة أزمة المنطقة ، بعد ان توصلت هذه الاوساط

الى أن الرئيس المصري حسني مبارك لا يملك تأثيراً يذكر في العالم العربي ، وان دور مصر ووزنها لا يؤهلانها الآن لتقود الجانب العربي في اتجاه حل أزمة الشرق الأوسط) .

لم تكن الرسالة التي تلقاها العراق عابرة او متقطعة الجذور عن خطوات تالية تعززها ، وتطرح جدياً خيار ان يتسلم العراق ملف أزمة الشرق الأوسط ، فقد فاتح سياسيون أمريكيون الدبلوماسيون العراقيين حول إقامة إتصال مباشر بين العراق وإسرائيل ، وسألوهم : لماذا لا تتكلمون مع الإسرائيليين ؟ أن من يتولى ملف المنطقة سيكون بحاجة من الناحية العملية لأن يتكلم مع الإسرائيليين .

كان جواب العراقيين على عمليات جس النبض المتتالية التي وُجّهت إليهم : إننا لسنا طرفاً مباشراً من الناحية القانونية والدستورية ، وإذا كان هناك من يتكلم مع الإسرائيليين فإنهم الفلسطينيين وليس العراقيين .

وفوجيء السيد طارق عزيز مرة اخرى منتصف سنة 1986 أن صحيفة أمريكية قالت له قبل أن تنهي مقابلة صحفية :

– أن عزرا وايزمن يسلم عليك .. وقد طلب مني عندما عرف أنني آتية الى العراق أن أبلغك سلامه .

فأجابها السيد عزيز : – ” ليس لدى أي شيء مع وايزمن او سواه من الإسرائيليين ، ولا يوجد موضوع ثنائي بيننا ، هناك القضية الفلسطينية وأزمة الشرق الأوسط ، وإذا أراد أن يتحدث مع أحد في هذه القضية فليجد شخصاً آخر غيري ..

وتكررت المحاولة في خريف السنة نفسها عندما جاءت سيدة امريكية تعمل في الجمعية العراقية الامريكية لتبلغ السيد عزيز الذي كان موجوداً في نيويورك : ان رئيس وزراء إسرائيل ساحق شامير يطلب لقاء مع الرئيس صدام حسين ، فأبلغها عزيز رفض هذا الطلب .

عندها قالت له : – إنك ترفض الطلب قبل ان تبحثه في بغداد ، فأجابها : – إنني أعرف ماذا سيكون رد الرئيس صدام حسين عندما أعرض عليه الأمر فخذي الجواب منذ الآن ، وإذا كان لدى شامير شيء يريد أن يتحدث به فليقابل السيد ياسر عرفات ويبحث معه القضية الفلسطينية ” .

وتناغمت عمليات جس النبض الإسرائيلية نحو العراق ، مع الترويج بنشوء (لوبي) في الخارجية الاسرائيلية ضد التعامل مع ايران وبيعها الأسلحة ويتبنى فكرة فتح قنوات اتصال مع العراق بأي ثمن كان .

وقد أعقبت ذلك محاولة من أحد أعضاء الكونغرس عقد إجتماع لسفير العراق لدى واشنطن نزار حمدون مع وزير إسرائيلي من أصل عراقي ، هو موشيه شاحال ، من كتلة العمل ، لكن السفير العراقي اعتذر عن حضور الإجتماع .

واستنتج العراقيون أن هناك دافعين لهذه المحاولات ، الاول : إدخال العراق في عملية اللقاء المباشر مع إسرائيل ، والثاني : تحسس مدى استعداد العراق لتولي ملف أزمة الشرق الأوسط ، وهو الأمر الذي يثير مسألة الطموح الإقليمي للعراق في أداء دور (الدولة الإقليمية القائد) .. ومحاولة الأمريكان سبر أغوار العقل العراقي في اتجاه هذا المطمح .

حصل جس النبض في لحظة حرجة مرت المنطقة فيها بعد ترادع الحظرين السوفيتي والإيراني ..

هنا ..

وقع الاحتكاك بين دور الحماية العراقية ، ودور الحماية الأمريكية .. للخليج .

كانت ملامح دور الحماية العراقية للمنطقة تتكون في لحظة بروز نزعة حاسمة في واشنطن لفرض الحماية الأمريكية على الخليج .

العراق أثبت إمكانية على الحماية في صد الثورة الإيرانية من ناحية .. وحماية الانظمة السياسية المحلية من محاولات التفجير الإجتماعي الداخلي .. وطرح نفسه حامياً إقليمياً ..

ومقابل ذلك كان هناك منطقتين آخر في الخليج بعد إنتهاء الحرب العراقية – الإيرانية يرى ان الحماية المضمونة ستوفرها قوة دولية وليست قوة إقليمية .. فإذا كان هناك خطر فان أمريكا هي التي ستوفر قوة الصد والغطاء السياسي لمقاومته ، ولن يُعطى هذا الدور للعراق ، وكان واضحاً ان حكام المنطقة فضلوا الحامي الأمريكي على الحامي العربي ، ولم يكن من الصحيح ان يتوقع احد العكس ، في اللحظة التي دخلت الكويت فيها الى اوركسترا العزف الصاخب الذي يدق الطبول على أبواب العراق حين تجمعت لدى القيادة العراقية معلومات عن عملية تطويق منظمة ذات أبعاد سياسية وإقتصادية

وعسكرية وأمنية تهدف الى إضعاف البلاد الى درجة الإنهاك والوقوف على شفا الإنهيار الاقتصادي .

وصارت بغداد تسأل عندها : هل كانت الكويت قادرة على الإحتكاك بالعراق لولا توفر غطاء الحماية الامريكية ؟ بمعنى أن الحماية لم تعد ضد الخطرين التقليديين (السوفيتي والإيراني) ، ولكن ضد الأخ الحامي الذي رُفض دروه في الحماية .

وإلا لماذا لم توفر الولايات المتحدة الحماية للخليج طوال ثماني سنوات من الحرب مع إيران ، وكان العراق هو الذي يتولى هذه الحماية من الناحية العملية بإشغال قوة ايران وإستنزافها ، حتى الحق بها الهزيمة بحيث صارت عاجزة عن تهديد الخليج .

ويذهب هذا التحليل الى أن من وفر الحماية في السنوات الماضية ، هو الأحق في مواصلة ممارسة هذا الدور .. ثم لماذا تطرح الولايات المتحدة الحماية على الخليج بعد أن زال الخطران الإيراني والسوفيتي .. أليست الحماية في هذه اللحظة موجهة ضد العراق ؟

وكان مما عزز هذا الإستنتاج ، الكلام الذي استمعت بغداد اليه من زوارها الخليجين الذين أفادوها ان امريكا وبريطانيا بدأت بتحذير دول الخليج من الخطر العراقي ، ومن مبرر وجود 100 فرقة عسكرية مثيرة فيها الذكر من خطر عراقي .

وابلغ الملك فهد العراق ان (جون كيلي) وكيل الخارجية الأمريكية زار دول الخليج ونبهها الى خطورة تعاطم القوة العسكرية العراقية على هذه الدول .

وقد أشار الى ذلك الجنرال نورمان شوارزكوف في محاضرة له سنة 1989 عندما ذكر أن العراق صار قوة مهددة ل أمن حلفاء امريكا في الخليج بعد زيارة له الى السعودية والإمارات ، والكويت التي زار احدي قطعاتها المتقدمة في الشمال ، وعين مع ضباط قواتها المسلحة طاولة الرمل لخارطة المنطقة وقد صوبت سهام حركة المدرعات عليها في اتجاه العراق ، كما أظهر لاحقاً شريط عثرت عليه القوات العراقية بعد دخول الكويت عن زيارة شوارزكوف في 9 / 10 / 1989 .

إذن .. صار العراقيون يشكّون بأن كل خطوة عسكرية أمريكية في الخليج .. ستقترب من حافات العراق ، ولن يكون بصرفها مصوباً لسواه .. هذا ما توصلت اليه بغداد من استنتاج في لحظة احتكاك دوري الحماية : العراقي والامريكي في منطقة الخليج .

لم يكن من المتوقع ان تكتفي الولايات المتحدة بمراقبة أوسع عملية نقل للتكنولوجيا قام بها العراق في هذا القرن ، خاصة بعد ان توقفت الحرب مع ايران وصار الغرب يراقب خطوات العراقيين وجهودهم لبناء قاعدة تكنولوجية لم يعتد أي بلد في العالم الثالث على السعي للحصول عليها ، وكانت الإدارة الأمريكية تعلم جيداً ان العراق أخذ معظم ما يحتاجه من الغرب ومنهم الولايات المتحدة ولم تشأ الإدارة ان تخبر الكونغرس بالصفقات التي عبرت الى العراق ، في حين كان مساعد وزير الدفاع الامريكي ريتشارد بيل المعروف بتعاطفه مع إسرائيل يسرّب المعلومات عن الصفقات العراقية ويعرقل ما عدّه أخطرها ، وهي صفقة الكومبيوترات العملاقة التي تستخدم في التقنيات الأكثر تعقيداً ، مع ان وزيره واينبرغر كان يومئذ من أشد المتحمسين ضد إيران .

مهمة في واشنطن

فاز جورج بوش برئاسة الولايات المتحدة في الانتخابات التي جرت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1988 ، ولكنه من الناحية العملية لم يباشر مع طاقمه الجديد مسؤولية ادارة البلاد الا في شهر كانون الثاني (يناير) 1989 .

كان موقف الولايات المتحدة من تسلّح العراق خلال حربه مع إيران غير موفّقها منه بعد انتهاء هذه الحرب ، وهو الأمر الذي كان يفرض على العراق ان يتحرك جدياً لإحتواء التغيير في موقف الإدارة الامريكية حتى لا يصبح عداءً علنياً ، ويمضي في طريق لا عودة منها .

وعلى الرغم من الميل العام لصالح العراق خلال مدة الحرب العراقية – الإيرانية فان بغداد لم تتوصل الى استنتاج نهائي لجذور عملية إيران – غيت ، وكان ثمة تساؤل : هل كانت ايران – غيت تعكس موقفاً استراتيجياً في ولاية الرئيس رونالد ريغان أم أنها كانت تصرفاً لمجموعة من صنّاع القرار ؟ ولكنها مجموعة مهمة ..

ومن الغريب ان العراق لم يؤسس تقاليد في دراسة السياسة الأمريكية سواء على مستوى صنع القرار أو إتخاذه ، إنز لا يوجد مركز لدراسة السياسة الأمريكية في حين توجد في العراق مراكز بحثية في الشؤون الإيرانية والتركية والإسرائيلية .

وليس بالإمكان القول ان العراق دخل المواجهة مع الولايات المتحدة وهو يعرف آلية صنع القرار الأمريكي ، وآلية اتخاذه ، إنز أن وجود أشخاص مثل السادة طارق عزيز ونزار حمدون وعبدالامير الأنباري يعرفون كيف تفكر امريكا وكيف تصنع قراراتها لم يكن كافياً لخلق تقاليد معرفية بالولايات المتحدة ، إنز لم تقم في العراق عشية انفجار الصراع مؤسسة متفرغة رسم تقاليد لتعامل العراق مع أكبر دولة في العالم .

كانت ثمة تقاليد في التعامل العراقي مع إيران عمرها أكثر من أربعة قرون من التنازع أقرزت حساً شعيباً عفويماً في النظرة الى النموذج الإيراني والتعامل معه ، ونضجت حاسة الشم العراقي باتجاه ايران بعوامل المحاددة الجغرافية ، والتداخل الديني مع نقيضه في الصراع الثقافي ، ولذلك قاتل العراقيون إيران وهم يعرفونها ، وكانت لديهم مؤسسات وخبراء في الدبلوماسية ، والمخابرات والجيش والجيش والإعلام والاقتصاد يستطيعون ان يقدموا إجابات مباشرة وسريعة في كل صفحة من صفحات الصراع مع ايران .

وكذا الأمر مع إسرائيل التي حاربها الجيش العراقي سنة 1948 ، وكانت الموضوع الشاغل في البرامج السياسية لجميع الاحزاب والحركات السياسية والحكومات العراقية منذ قيام دولة اسرائيل ، مع توافر ميزة نادرة هي وجود اجماع على معاداتها رتب نشوء تقاليد راسخة في مؤسسات الجيش والمخابرات والدبلوماسية والإعلام .

أما أمريكا فكان الامر معها مختلفاً اختلافاً عميقاً .

على المستوى الشعبي كانت صورة امريكا هي ناتج بعدها الجغرافي الممتزج بترسبات الدعاية الامريكية من جهة حيث تقدم صورة محسنة تغري الاحلام وتشجعها الى جانب نقيضها من صور التفكير التي يتبناها الشرق عن بلد مستلب القيم يغرق في الجرائم والمخدرات والأمراض المستعصية وانحلال القيم .. ولم يكن لهذا الخليط الا ان ينتج في الضمير الجمعي العراقي صورة من نصفين متناقضين يلعن احداها نصف النهار ، ويعجب بنصفه الآخر في ما تبقى من نهاره .

صورة مضببة تعكس مرة مشهد مجتمع دموي كان أبناؤه قتلة في حروب كوريا وفيتنام ، وتعكس مرة اخرى مشهد مجتمع الرفاهية والدعة والاسترخاء والمتع ، حيث لا يبدو ان احداً مستعداً لبذل حياته من أجل قيمة عليا ، أو حروب خارج الحدود .

اما على مستوى النخبة من المثقفين والسياسيين والدبلوماسيين فان الصورة كانت مختلفة من ملامحها في الضمير الشعبي .

فأمريكا هي دولة حديثة التكون في جانب .. وقوة حديثة العهد في معرفة العراق في جانب آخر ، وما دامت امريكا هي ليست بريطانيا التي استعمرت العراق وخرجت منه دون ان ينتهي اهتمامها فيه فأن العلاقة مع واشنطن يمكن ان تقوم في مناخ اقل تعقيداً وأقل كراهية وأقل نفوراً عن حاله مع بريطانيا .

لذلك كان من الممكن بناء علاقات قابلة للنمو مع واشنطن .. ؟ وهي محاولة بدأت منذ منتصف الثمانينات قبل ان تبدأ بالانحسار منذ عام 1989 .

وفي بغداد كان هناك قلق غير معلن بعد مغادرة رولاند ريغان البيت الابيض ومعه وزير خارجيته جورج شولتز ، إنز ان الرجلين اتخذا من إيران موقفاً متشدداً لم تتخلله غير قضية واحدة أزعجت العراق ، عندما باعت الولايات المتحدة اسلحة امريكية وارتضت قيام اسرائيل ببيع اسلحة اخرى الى ايران بما عُرف لاحقاً بقضية (إيران غيت) ، وما رافق ذلك وسبقه من تسهيلات استخبارية يعتقد العراق ان ايران حصلت عليها من الولايات المتحدة لتسهيل احتلال الفاو جنوب البلاد .

وتوصل الرئيس صدام حسين الى ان هناك حاجة للقيام باستطلاع مباشر لمعرفة الاتجاهات التي استختارها الادارة الجديدة في واشنطن بقيادة الرئيس الجديد للولايات المتحدة جورج بوش ، ولذلك طلب من وكيل الخارجية العراقية نزار حمدون (الذي كان قد مثل بلاده سفيراً في واشنطن بين 1983 و 1987) ان يتوجه الى الولايات المتحدة ليقدم عرضاً لسياسة العراق ، ويسـتـكشف الطريقة التي يتعامل بها الامريكان مع بغداد بعد انتهاء الحرب العراقية – الايرانية .. وليؤسس قاعدة للحوار مع الادارة الجديدة في واشنطن .

كلما التقى مسؤولان عراقي وامريكي ، تصرفا وكأنهما داخل غرفة معتمة ، ولا يرى احدهما الآخر ، ويحاول الإثنان معرفة بعضهما.. فلا يجدان غير ان يتلمس كل منهما وجه الآخر بأصابع يديه .

وليدان من نبتتين مختلفتين ، بعيدتين عن بعضهما ، وكل منهما يرى الآخر ، فيغرق في الدهشة والعجب .. حتى بالنسبة لأكثر الناس معرفة بالآخر وبخبرة فيه .

وحين دخل الدبلوماسي العراقي الشهير نزار حمدون في 23 / 3 / 1989 على المستشار الجديد للأمن القومي الامريكي برنت سكو كروفنت . لم يخفه مشاعر الاستغراب في محاولة اكتشاف شخص ينتمي الى احدى عجائب امريكا من وجهة نظر الشرق ، والإسلام ، والعرب .
لقد انتقل الجنرال المتقاعد والمستشار في شركة مملوكة لوزير الخارجية الاسبق هنري كيسنجر ليصبح مستشاراً للأمن القومي بأمره الرئيس الجديد جورج بوش .. فكيف سيتصرف نحو العراق رجل وليد عن ديانة محدودة الانتشار خليطة المصادر ، تشابه بعض الديانات الموشكة على الانقراض في الشرق العربي .

كل انسان هو وليد حضارة وعقيدة . وها هي امريكا اليوم خليط من اديان وأجناس ، وهي هذه المرة ليست مسيحية ويهودية .. وحسب .. وليست بيضاً وهنوداً حمراً ، وحسب .. ان فيها من الأجناس والأديان الثالثة الكثير .

كيف سينظر منتم الى دين ثالث نحو العرب والمسلمين ، ومنهم العراقيون إذن ؟
أما العراقي ، فكان هو الآخر يرى العالم من خلال الاسطورة التي تمثل احد مصادر تكوينه ، فعبر منافذها يرى نفسه والعالم ، وتتشكل ردود فعله من خليط من الدوافع الطاهرة والكامنة ، تظللها بكائية متقطعة النحيب منذ سقوط بغداد على يد المغول سنة 1052 للميلاد .

كيف سينظر رجل ينتمي الى احدى أغرب الأقليات الدينية في العالم الى الشرق ؟ .. فالمسؤول الامريكي الكبير ، يعتنق ديانة المورمونية Mormonism التي تأسست سنة 1930 على يد جوزيف سميت " Smith Joseph " ويبلغ تعداد مريدي هذه الديانة 5.2 مليون شخصياً ، ينتشر 80 % منهم في الولايات المتحدة ويتوزع الآخرون في انكلترا وسويسرا ونيوزلندا ، وكندا .. وقد قامت على أساس اعتناق المفاهيم الصهيونية ، لما يعرف باليهودية العالمية ، ويؤمن اتباعها بالملكية الجماعية ، وتعدد الزوجات ، وهم يؤمنون بشعار (الشعب المختار) . وحاول (المورمونيون) اقامة دولة مستقلة لهم سنة 1952 عندما أصبح زعيم الديانة (كراهام يونغ) " Youny Graham " حاكماً لولاية " UTAH " غرب الولايات المتحدة ، فأعلن الخروج عن طاعة الحكومة الاتحادية ، حتى هاجمته القوات المركزية وأخضعته ، ثم أرغمتهم بعدئذ عن التخلي رسمياً عن تعدد الزوجات ، رغم انهم ظلوا من الناحية العملية يدرجون على الزواج المتعدد .

إذن هذا ليس يهودياً .. وهو أيضاً ليس مسيحياً .. سأل سكو كروفنت المبعوث العراقي : - ما هدف زيارتك الى واشنطن .. ؟ ثم استطرد : أليست بهدف التعرف على الإدارة الحكومية الجديدة ؟ .. إنني معروف لديكم .. ومن حسن الحظ أننا ، شخصياً ، تعارفنا من قبل .

كانت شخصية المستشار الجديد للأمن القومي خليطاً من " التواضع " و " القتامة " .. ولكن الحديث معه كان عملياً ، لأنه يتحاشى الدخول في التفاصيل ويحدد ما يريده مباشرة :

- ما الذي نستطيع ان نفعله ، اليوم ، في منطقة الخليج لمواجهة إيران ؟

كان سؤال سكو كروفنت متأخراً ، من وجهة نظر العراقيين ، أربع ، او خمس سنوات ، فالحرب انتهت ، والخطر الإيراني انحسر ، ويكاد يتلاشى في اتجاه منطقة الخليج ، لذلك فان بغداد كانت ترى ان حماية المنطقة من الإندفاع الإيراني قد تحقق بفعل العراقيين وجهدهم ، ولذلك لم يطلب الدبلوماسي العراقي من سكو كروفنت غير مساعدة بلاده في تأييد الدعوة للمفاوضات المباشرة بين العراق وإيران ومساندة مطالب بغداد بالتبادل الفوري لأسرى الحرب .
استنتج المبعوث العراقي ان المسؤول الأمريكي كان معنياً بالدرجة الأولى ، بثبات استقرار منطقة الخليج ، لحيويتها بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة ، وان واشنطن تضع مسألة تدفق النفط بأسعار غير مرتفعة ضمن أولوياتها .. إذا لم تكن أولى اولوياتها !

في اليوم التالي ، 24 / 3 / 1989 ، قابل السيد حمدون ، الوزير الجديد للخارجية جيمس بيكر ، صديق الرئيس جورج بوش ، والمنحدر - من تكساس ، المكان نفسه الذي خرج منه الرئيس وتسلم الوزير الامريكي رسالة مكتوبة من وزير خارجية العراق ، ثم ما لبث ان وصف العلاقات مع العراق بأنها مرضية ، خاصة ، وان بغداد تحتل المرتبة الثانية في تعامل العرب التجاري مع واشنطن .

وتوزعت الموضوعات التي أثارها الوزير بيكر على متابعة التعويضات المقرر دفعها من العراق الى ضحايا الفرقاطة الأمريكية ستارك التي تعرضت لهجوم

جوي عراقي بالخطأ في 1988 ، وقلق الولايات المتحدة من وجود السادة ابو العباس وأبو ابراهيم والعقدي هواري في بغداد ، ثم عاد ليصف موقف العراق من مفاوضات تحريم الاسلحة الكيماوية بأنه موقف بناء ، وقال ان بلاده في جانب آخر تتابع بإرتياح إعداد دستور جديد في العراق وإطلاق التعددية السياسية وإختيار الإتجاه الذي أثبت نجاحه في أماكن عدة من العالم .

اما السيد حمدون فأكد للوزير بيكر التزام العراق بعدم تشجيع الارهاب وابلاغ السلطات الامريكية عن أية عملية تستهدف مصالحا ، وطلب ان يكون للولايات المتحدة دور ايجابي فعّال في دعم المفاوضات المباشرة وتبادل الأسرى بين العراق وإيران .

لكن الامر الأكثر اهمية في اللقاء تركز على الحوار حول اوضاع منطقة الشرق الاوسط ولبنان والخليج مما يعطي الجانب العراقي استنتاجاً مريحاً حول اعتراف الولايات المتحد بالدور الإقليمي للعراق واعتباره شريكاً أساسياً في قضايا المنطقة التي تتجاوز أوضاع الخليج والعلاقات العراقية – الايرانية .

قبل ان يغادر المبعوث العراقي واشنطن التقى بمساعدي وزير الخارجية الامريكي ورئيس قسم الشرق الاوسط وعدد من أعضاء الكونغرس ورؤساء مراكز البحوث ومدراء بعض الشركات المتعاملة مع العراق ومجموعة من الصحفيين ، وعاد الى حكومته بالإستنتاجات التالية :

– أولاً: ان الإدارة الجديدة تتصف بانها أقل تشدداً في الجانب الايديولوجي من الادارة السابقة ، وهي ذات طبيعة براغماتية وتبدو مستعدة للخوض في صفقات سياسية على اساس حسابات الربح والخسارة في المجالين الداخلي والخارجي ، وان اسلوب الرئيس الجديد في السياسة الخارجية سيعكس خلفيته الشخصية كطيّار سابق خلال الحرب العالمية الثانية ، وعضو في الكونغرس ، وسفير في الصين ومندوب في الأمم المتحدة ومدير للمخابرات ، ثم كمنائب للرئيس ، وهو الامر الذي يجعله اكثر الرؤساء الامريكان منذ الحرب العالمية الثانية خبرة في الشؤون العالمية .

– ثانياً: ان التحديات التي ستواجه الإدارة الجديدة هي مشكلة الحد من الأسلحة النووية ، ومعالجة المشاكل التجارية مع اليابان ، والتكتل الأوربي الجديد والتعامل مع المسألة الألمانية ومع الوضع القابل للتدهور في امريكا اللاتينية ، الى جانب الاحتكاك بالتصلب الإسرائيلي من عملية السلام في الشرق الأوسط ، وستظل عقدة (ايران غيت) تلقي بظلالها على الإدارة الجديدة وتحدد اسلوب التعامل المقبل مع ايران .

– ثالثاً: ان هناك من يراهن على بروز العراق كقوة اقليمية سياسية واقتصادية ايجابية مع التخوف من استخدام العراق قوته العسكرية في التعرض ضد اسرائيل وحلفاء امريكا الآخرين .

على ان أخطر ما عاد به المبعوث العراقي ورد في عرضه لورقة كانت تعد خلال وجوده في واشنطن عن الخيارات المحتملة التي يتوجب على الولايات المتحدة ان ترتب سياساتها للتعامل معها في منطقة الخليج .

وقد جاءت الخيارات حسب التسلسل التالي :

* استئناف الحرب بين العراق وإيران .

* حدوث ميل في ايران لصالح الإتحاد السوفيتي .

* تحول العراق الى معاداة الكويت والسعودية .

بدا منتصف الثمانينات ان العراق يؤسس اول مرة صالونه السياسي في الولايات المتحدة يوم كان باستطاعة سفير العراق في الامم المتحدة الذي أصبح لاحقاً رئيساً للجمعية العامة ، الدكتور عصمت كتاني ، ان يخاطب نائب الرئيس الامريكي باسمه الاول :

– جورج .. انتب مدعو على الغداء في منزلي اليوم (وكان يقصد نائب رئيس الولايات المتحدة يومئذ ، جورج بوش) .

وتسنى لوزير الخارجية العراقي السيد طارق عزيز ان يلتقي معظم صنّاع القرار في الولايات المتحدة واسط الثمانينات ، بمن فيهم رونالد ريغان ونائبه جورج بوش ووزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر والوزراء الأساسيون في الحكومة الأمريكية .

ويذكر السيد طارق عزيز ان نائب الرئيس آنذاك ، جورج بوش ، استقبله بطريقة ودية قبل دخولهما معاً على الرئيس رونالد ريغان ، وكانت سابقة ان يحضر نائب الرئيس لقاءات رئيس الولايات المتحدة مع مبعوثي الدول الاخرى .

وفي تلك المدة كان سفير العراق في واشنطن ، نزار حمدون ، قد بنى شبكة علاقات لم يتمكن سفير عربي حتى ذلك الحين من تأسيسها في أروقة السياسيين والاقتصاديين والمستشارين ورجال الاعلام .

لكن العراق لم يكن وحده الذي يعمل ..

فقد حفز هجومه الدبلوماسي الصالون السياسي الصهيوني والقوى المؤيدة لإسرائيل على تنشيط العمل ضده .. ومهتل الظل كانت هناك قوى تقف في أثر خطواته في أشد حرب خفية بين دبلوماسية عربية من جهة ، وبين مراكز الضغط اليهودي من جهة اخرى .

لم يتردد المثقفون العراقيون في إثارة اسئلة شغلت العقل العراقي : هل كان العراق يعرف خصمه .. ؟ وهل لديه تقاليد في معاملة السياسة الامريكية ؟ .. وهل كانت للدبلوماسية العراقية قدرة التحسس المبكر للإيقاع الذي يضبط القرار السياسي الامريكي وهل كانت لديها امكانية وضع بدائل وخيارات في مقابلته والتعامل معه .. ؟ وهل كان في أمرة وزير الخارجية فريق قادر على تمثيل مدرسة دبلوماسية ذات تقاليد في التعامل مع العالم .. ومنه امريكا التي حلت محل بريطانيا عدواً رقم واحد للعراق ؟ .. وهل سعى العراق لخلق صالون سياسي يتفهمه في امريكا ويؤيم معه الحوار في اللحظات الحرجة ؟ يلج السيد طارق عزيز مناخ هذه الاسئلة ليمسك بجذورها فيرى : " ومن ثم فان من لا يملك دوراً دولياً لا يملك تقاليد في التعامل مع العالم ، بمعنى ان العراق لم يكن يملك قبل ذلك التاريخ تراثاً في فهم الوضع الدولي " .

وذهب الرجل الذي قاد الدبلوماسية العراقية في أثناء أزمة الخليج ، خلال مداخلة له في ندوة مغلقة عقدت في بغداد ، الى " ان النظام السياسي في العراق حتى سنة 1958 كان مظاهماً تابعاً للآخرين في النظرة الى العالم وفهمه ، ولم يكن هناك أي منظر عراقي خاص للوضع الدولي ، حتى بدأ الرئيس صدام حسين بالتنظير والعمل معاً لتأسيس دور دولي للعراق .. فنشر وعياً واهتماماً واسعين لم يكونا قائمين من قبل " .

لكن السيد عزيز يعتقد ان الباحثين الاكاديميين والسياسيين في العراق لم يطوروا المنهج الجديد في العراق ، ولم يغنوه ، برغم ان العراق صار يملك دوراً دولياً حاسماً ، وأحياناً دوراً دولياً مرجحاً ، وكانت المواجهة مع ايران احدى الأحداث التي لعب فيها العراق دوراً حاسماً . على ان أهم معضلة واجهها العراق كانت في الكيفية التي يعرض بها مضمون خطابه السياسي ، والآلية التي يرمم بها صورته التي تهشم ، ولا سيما في الولايات المتحدة واوربا .

وساعدت أخطاء قاتلة في الإعلام العراقي على تدمير صورة العراق لدى المتلقي الغربي ، إنز لم يكن المتحدثون العراقيون في وسائل الاعلام الغربية على قدر متساو في الكفاءة ، ولا على معرفة متساوية بحساسية الرأي العام الغربي ولذلك فان أحاديث بعضهم عم ما عرف بأكل الطيارين وهم أحياء ، وهو امر مبالغ فيه ولا يعكس الشخصية العراقية حقيقية ، قد أدى الى توفير فرص إضافية لهدم صورة العراق واثارة حفيظة المتلقي الغربي وحشد التعبئة من أجل الحرب .

مع ان العراق لم يكن بحاجة الى تقديم صورة دموية له ، بعد ان اختار هويته كمركز استقطاب للنهضة العربية المعاصرة ، حاملاً أحاديثه ووسائله طوال الأزمة ، حيناً اختار ان يخاطب العالم بلغة المبادئ ، مترفعاً على ما هو أدنى منها في سلم اتهامات الحياة ، وكان السيد عزيز قد وصف الطريقة التي ان يفكر بها العراق عشية الأزمة والتي تعرضت للتحريف .. بقوله :

" الرئيس صدام حسين يدعو في العلاقات الدولية الى التوافق لا الى الصراع ، وان أكبر عملية تزوير حصلت في العالم هي تصوير دعوات الرئيس على انها سبب لزعة الوضع الاقليمي والدولي " .

كان العراق قد اعترف بامتيازات الدول الكبرى في العلاقات الدولية من جهة ، وفي بعض مناطق العالم من جهة اخرى ، ولكنه أظهر تحفظاً على طريقة ممارسة هذه الامتيازات ، وهنا وقع الاختناق في قناة التفاهم بين بغداد وواشنطن . فالرئيس صدام حسين أبلغ سفيرة الولايات المتحدة " ابريل غاسبي " ، وبعدها القائم بالاعمال الامريكي " جوزيف ويلسون " في أثناء لقائه بهما على التوالي قبل دخول الكويت وبعده : ان العراق يتفهم حرص امريكا على ضمان تدفق النفط اليها وبأسعار متوازنة وانه يستطيع ان يضمن ذلك لأمريكا .

انطوت تلك الإشارة على مفهوم (احترام امتيازات الدول الكبرة) ، ولكن بغداد تحفظت على سياسة فرض الامتيازات التي يصفها السيد طارق عزيز بأنها

اسلوب متسلط ومُذل ، مع ان العراق كان يدعو الى (علاقات سلمية حضارية بين الشعوب) .

منذ أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين بغداد وواشنطن سنة 1984 أراد العراق ان يزيح عن صورته صفات (العدوانية) و (التطرف) و (اللاواقعية) ليقدّم في الضد منها صورة العقلانية القادرة على تمثيل الذات الوطنية والإرادة العربية ، حتى يُعامل العراق بالثقل الذي يسعى ليكون عليه .

– هل كنتُ راضياً عن الطاقم الدبلوماسي الذي عمل معك لينفذ مشروع بناء الصورة الجديدة للعراق في العالم ؟

سألت السيد طارق عزيز فأجابني :

– المهم كيف تشغل هؤلاء الدبلوماسيين ، بحيث تستخدم الطاقم المناسب بإتجاه الهدف الذي يناسبه .. وبحسب اهمية الساحة التي يعمل فيها ، ففي النزاع العراقي – الايراني لم تكن لدينا مشكلة في طريقة التخاطب للتعبير عن موقفنا من قبل ممثلينا في الخارج الذين عملوا في الساحات المهمة التي تؤثر في صنع القرار الدولي ، ولكن كانت لدينا مشكلة في ساحات اخرى اقل أهمية لم يكن فيها ممثلون بالقدرة نفسها ، فأنتِ استخدمت لكل مهمة الفريق المؤهل لها تستطيع ان تصل الى النتيجة التي تريدها ، وفي كل الاحوال فان لدى العراق دبلوماسيين هم الأكفأ في العالم .

– لكن المشكلة مع امريكا ، ان السفير الذي اختاره العراق فيها أظهر في اللحظات الاخيرة تخليه عن مواصلة تمثيل خطاب بلاده بعد ان كان مفروضاً ان يعود الى بغداد اثر قطع العلاقات الدبلوماسية ، أليست مفارقة بأن يكلف رجل لم يكن مستعداً حتى النهاية لتبني خطاب بلاده في التعامل مع امريكا ؟ ثم هل كان ذلك احد أسباب الاختناق في قناة الاتصال ؟

كان الاستنتاج الذي توصلت اليه الخارجية العراقية ان سفيرها في امريكا وقع ضحية الخوف ، وكان تحت طائلة تأثير الاعلام الامريكي والضخ اسياح اليومي بإتجاهه لإضعاف ارادته ، وقد انتبه الرئيس صدام حسين الى هذه النقطة مبكراً ، فأوصى في احد تعليقاته على مراسلات سفارة العراق في واشنطن بتنبية السفير وتحذيره من الوقوع ضحية عمليات التخويف الموجهة ضده .

وانزوى الدكتور محمد المشاط ، آخر سفير عراقي في واشنطن في مدينة فانكوفر الكندية ليستعيد ذكرياته ويسكن الى حياة مسترخية بعيداً عن صراع قرر عدم التعايش معه حتى النهاية .

نقل المبعوث السوفيتي يفغيني بريماكوف الى الرئيس الامريكي جورج بوش عند لقاءهما اواسط تشرين اول (اكتوبر) 1990 الاستنتاج الذي تكون لدى العراق حول تورط الولايات المتحدة في العمل على تغيير نظامه السياسي ، واغتيال قيادته ، والتواطؤ مع اسرائيل من جهة والكويت من جهة اخرى لتهديده في جانب واستنزافه في جانب .

وقد أظهر اريئس بوش أستغرابه مما سمع ، و قال لبريماكوف : لماذا هذا الانطباع لدى العراقيين ، نحن ساعدناهم في الحرب مع ايران .

حين استمع الرئيس صدام حسين الى هذه الرواية كم نقلها اليه بريماكوف في لقاءهما الثاني يوم الثامن والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) 1990 قال للمبعوث السوفيتي :

– اذا كان بوش يعتبر مناقشات مجلس الامن والعمل على وقف اطلاق النار مساعدة .. فلا هو لا غيره أوقف اطلاق النار (بين العراق وإيران) .. نحن الذين أوقفنا إطلاق النار .

واصل بريماكوف ينقل أقوال الرئيس الامريكي :

– لقد كثر بوش أمامي ان أمريكا لم تكن تطوق العراق او تحاصره .

فكشف الرئيس صدام حسين ان ~ ضلوع الولايات المتحدة في التآمر على العراق كان أمراً معروفاً لدى عدد من القادة العرب الذين وجهوا في شهر حزيران (يونيه) 1990 (قبل شهرين من دخول الكويت) رسائل خطية الى الرئيس بوش يحذرونه من محاطر العمل ضد حياة الرئيس العراقي .

وذكر الرئيس صدام حسين بالتحذير الذي نقله السيد طارق عزيز الى وزير الخارجية الامريكية جيمس بيكر في لقاءهما الاول بواشنطن في تشرين الاول (اكتوبر) 1989 وقال لبريماكوف :

– معلوماتنا اكيده وموثقة .. ونحن لم نطلب من القادة العرب الذين كتبوا لبوش ان يرسلوا تلك الخطابات ، ولكنهم فعلوا ذلك بناء على ما تجمع لديهم من معلومات .

وقد ذكر السيد طارق عزيز في مقابلة لاحقة انه كان في نيويورك خلال تشرين الاول (اكتوبر) 1989 عندما تلقى إشارة عن استعداد وزير الخارجية

جيمس بيكر لملاقاته في واشنطن ، على غير ما اعتاد اسلافه من وزراء الخارجية الامريكان في اللقاء مع ممثلي دول العالم في نيويورك خلال وجودهم للمشاركة في اجتماعات الجمعية العامة ، وليس في واشنطن .. ولكن السيد بيكر كان قد استوزر لتوه ، ولم تكن هناك فرصة ليلتقي السيد عزيز في نيويورك ، وقد أشعر الوزير العراقي بغداد بالأمر ، فبعث اليه الرئيس صدام حسين يطلب التوجه الى واشنطن للإجتماع مع الوزير الجديد في الخارجية الامريكية وإبلاغه انزعاج العراق من ضلوع الولايات المتحدة في (مؤامرة لاغتيال القيادة العراقية وتغيير نظام الحكم) .

وبالفعل وضع السيد طارق عزيز المعلومات التي زودته بها بغداد على طاولة الوزير الامريكي الذي أبدى استغرابه من تلك المعلومات وعدم معرفته بها

لم يستبعد الوزير العراقي ان بيكر لم يكن يعرف فعلاً ما حُطّ ضد العراق ، لان أحدث سابقة في الإدارة الأمريكية تدل على امكانية اخفاء المعلومات في مثل هذه العمليات عن وزير الخارجية ، كما حصل مع الوزير السابق جورج شولتز الذي قال ان تفاصيل (ايران - غيت) قد أخفيت عنه ولم يكن يعلم بها

فطلب السيد عزيز منه ان يعود الى مساعديه والمعنيين في وكالة المخابرات المركزية الامريكية للتزود بالمعلومات الكاملة عن المخطط الموضوع ضد العراق .

التقط الوزير الامريكي اشارة غير قابلة للتأويل ، على عدم ثقة بغداد بالادارة الامريكية وشكها العميق بكل ما قيل لها ، او يمكن ان يقال بهدف التطمين وزرع الثقة .

وكانت القيادة العراقية من ناحيتها قد وضعت يدها على ملف عن عملية امريكية مخططة داخل العراق تشترك فيها أطراف اقليمية .. هدفها الأساس اغتيال الرئيس صدام حسين .. وهو امر كان كافياً لإشعار العراق بأن الحوار مع واشنطن لم يكن عميقاً بحيث تتخلى الادارة الامريكية عن معاملته كبلد معاد ، رغم كل ما كان يلمس من مظاهر التعاون التجاري وفتح قنوات الاتصال الدبلوماسي ، ورغم مقاومة الإدارة الأمريكية لضغوط الكونغرس لتحجيم العلاقات مع العراق .

لم تكن تلك هي المرة الاولى التي يرصد العراق فيها خطأً امريكية موجهة ضد قيادته تستهدف الطائرة التي كان الرئيس صدام حسين يستخدمها في سفراته خارج العراق ، على ان تنفذ اسرائيل هذه العملية بتسهيلات امريكية ، ولم يتوقف ضخ وكلاء المخابرات الامريكية من حملة الجنسيات غير العراقية الى العراق بهدف العمل ضد نظامه السياسي .

وكان كل حدث مستجد كافياً للتذكير بأثر سابق من عدم الثقة ، والتوجس ، والشك .

تحكمت بالعراق وامريكا عقدة واحدة ، نشأت وتكونت في ظروف مستقلة الواحدة عن الاخرى ، ولكنها متماثلة من حيث مصادرها . ويمكن تسمية هذه العقدة بـ (عقدة صناعة العدو) .

فأمريكا بعد اضمحلال الخطر السوفيتي وانهيار الكتلة الشيوعية في اوربا لم تعد في مواجهة عدو يستحق تعبئة الرأي العام ضده ، وبالتالي كان من الممكن الاستنتاج ان غياب العدو سيؤدي تلقائياً الى انفجار الأزمات الداخلية ، إذ تُقوم قاعدة الصلة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية على أساس ان أفضل مجال لتفريغ الأزمات الداخلية هو صناعة عدو خارجي .. وتساءلت صحف امريكية عدة بعد تلاشي الخطر السوفيتي : من هو العدو ؟ أهو الإسلام ؟ أهو العالم الثالث ؟ .

ويعتقد السيد نزار حمدون سفير العراق في واشنطن أواسط الثمانينات ان امريكا قد تكون من الناحية العملية بحاجة الى صناعة العدو ، ولكنها لا تشعر بهذه الحاجة ، بمعنى انها قد لا تكون تحسست حاجة واقعية خرجت الى السطح ..

وقد حصل هذا الانحسار في موقع العدو في اللحظة التي اندفعت فيها صورة العراق الى المقدمة .. وقد تكون الإدارة الامريكية وجدت ان لا أحد يشكل تحدياً جاهزاً مباشراً يمكن تصنيع صورته كعدو يستحق المواجهة غير العراق ، الذي ظهرت صورته قوة اقليمية نازعة لتزعج المنطقة وبلداً من العالم الثالث يتجاوز الخطوط الحُرّ التي تحجز بلدان هذا العالم خلفها .. فهو قوة عسكرية هائلة تتكون من مليون جندي مجرب وسالحة كيميائية وبيولوجية ومشروع نووي غير معروف في أهدافه ، وتصدر عن قيادته تحديات سياسية علنية مباشرة ضد السياسة الامريكية ، من طراز ما أعلنه الرئيس صدام حسين في مؤتمر القمة العربي الاستثنائي ببغداد نهاية ايار (مايو) 1990 عندما علق على طلب امريكي الى المؤتمر بعدم وصف الولايات المتحدة كقوة

امبريالية بقوله : انه لم يعد منذ زمن طويل يطلق هذه الصفة ، وبدا له انه لم يعد يحبذ استخدامها ، ولكنه اليوم يستخدمها تحدياً طالماً أن الخارجية الامريكية طلبت من العرب المجتمعين ببغداد ان يتخلوا عن هذا الوصف .

ولم يكن أمراً معقداً على الإدارة الأمريكية ان تعمل على تبشيع صورة القيادة العراقية ، وفتح الملف الاكثر إثارة حول حقوق الانسان والديمقراطيات والأقليات في العراق ، الى جانب اثاره المخاوف من التهديدات بحق نصف اسرائيل اذا وجهت ضربة نووية للعراق .

وهكذا بدا وكأن العراق هو انسب عدو تختاره امريكا بعد غيار العدو السوفيتي ، فهو جزء من القوة الثالثة التي لا تحتمل الولايات المتحدة ان تواجه منها تحدياً ، وسيكون ضرب هذه القوة درساً لأية قوى اقليمية صغيرة او متوسطة تتحدى الولايات المتحدة التي وجدت نفسها مرة واحدة قوة لا ينازعها احد في العالم .

ولم يرغب عن العراق ان التاريخ الامريكي سجل لكل رئيس للولايات المتحدة حربه التي يثبت من خلالها انه صنع امراً كبيراً ، ويعتقد العراقيون ان بعضهم كان يفتش عن حرب وان بوش هو احد هؤلاء .

كانت حرب الرئيس (ترومان) هي الحرب العالمية الثانية قبل ان يدخل حرب كوريا ، أما الرئيس (أيزنهاور) فقد أكمل حرب كوريا في حين دخل الرئيس (كندي) أزمة الصواريخ مع كوبا وبدا على شفا حرب مع الاتحاد السوفيتي ، أما الرئيس (جونسون) فكانت حصته حرب فيتنام ، واختار الرئيس (ريغان) ان تكون حربه ضد ليبيا وغرينادا . إذن الحرب هي احد عناصر التكوين الرئاسي في الولايات المتحدة .. هذا ما استنتجه العراقيون مع التقاط الإشارات الأولى عن تهديدات أمريكية موجهة ضد بلادهم إذن صار العراق موضوعاً في مختبر "صناعة العدو بواشنطن" منذ ربيع 1990 .

أما العراق فبدا هو الآخر وكأن به حاجة لتحديده عدوه الجديد ، فقد خرج من حرب ثماني سنوات مع ايران كانت سبباً في تحفيز عوامله الذاتية وخاصة في مجالات التنظيم وإدارة الدولة وبناء الجيش والتعبئة والصناعة الحربية والتقدم العلمي ، حتى صار التهديد الخارجي الإيراني محفزاً لاختصار الزمن ، وتحقيق مستويات من النمو لم يكن بمقدوره في ظروف الاسترخاء والسكون ان يبلغها في ضعف الزمن الذي حقق فيه هذا النمو ، وكان الخروج من الحرب مع ايران ينذر في جانب آخر بفتح جميع الملفات المحلية التي وُضعت على الرف او أُدخلت في المجمدات تحت وطأة الاحساس بالخطر الخارجي ، واعطائه الاولوية على أية قضية تتصل بالحاجات العامة للبلاد ، وفوجئت القيادة العراقية التي انتصرت على ايران انها غير قادرة على توفير الحاجات الأساسية للفرد العراقي الذي طالما أُجّل المطالبة بها في ظروف الحرب ، لكنه لم يعد مقتنعاً بالتخلي عنها بعد تضحيات 8 سنوات في حرب خرجت بلاده منها منتصرة ، فهو ينزع الى مستوى عالٍ من الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية ، ويبحث عن مكانه لبلاده بمستوى ما تحملته من صعوبات وقدمته من خسائر .

وفوجئت القيادة العراقية أيضاً ان حالة السلم التي أعقبت انتهاء الحرب مع ايران شهدت محاولات عدة للعمل على تغيير نظام الحكم وتدبير مشاريع انقلابات عسكرية ، واكتشفت خلايا تعمل لصالح عدة أطراف منها ايران ، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، أو قوى اقليمية متحالفة مع الولايات المتحدة مثل المملكة العربية السعودية ، وهو امر اشتكى منه وزير الخارجية خلال اجتماعه في شهر تشرين الاول (اكتوبر) 1989 مع حيمس بيكر وزير الخارجية الامريكي عندما التقاه في واشنطن ..

في تلك الظروف ربما كانت صناعة العدو حاجة لإبقاء حالة الشد في الداخل ، وتحفيز قوة العمل المحلي وادامة الشعور بالخطر ، ولم يكن للعراق ان يختار عدواً صغيراً بعد انتصاره على ايران الدولة التي يزيد عدد سكانها 3 مرات على عدد سكانه وتزيد مساحتها 4 مرات على مساحته وكان جيشها يعد خامس جيش في العالم ، ثم حاربته ، وهي ترفع شعار تكوين جيش الفدائيين تعداده 20 مليون مقاتل .

لذلك فان أمريكا بدت العدو الذي يتحسب له العراق ويخشى منه ويترتب عليه ان يقاومه ، وطبقاً للمفاهيم التي يتبناها حزب البعث ومريدو الحركة الوطنية العراقية والحركة القومية العربية فان امريكا هي العدو المتحالف بلا حدود مع اسرائيل ، وهي القوة الدولية التي تستخدم مجموعة من الأطراف الإقليمية لتنفيذ خططها ، وكان الخطاب السياسي الديني الذي اتجه العراق لإعتماده في النصف الثاني من تاريخ حربه مع ايران عاملاً مساعداً في إيجاد مصدر فكري مضاف لمقاومة الغرب المسيحي ، الى جانب ما اتسمت به القيادة العراقية من شعور عميق بالشك ازاء كل ما يصدر عن الغرب وبخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا .

وصار على منتصرين ان يتقابلا ..

احدهما هزم الشيوعية وصار سيد العالم .. والآخر هزم إيران ويريد ان يحصل على دور يناسب ما حققه ..

ولعل أشد لحظات المجابهة تفجراً هي تلك التي تقع بين طرفين ، يعتقد كل منهما انه منتصر ، ويستحق اكليل الغار ، ولا يتحمل ان يأخذ منه المقابل بعضاً

من أضواء النصر .. ولذلك تصبح مجابهة من هذا النوع قاسية ، وبلا خطوط تراجع .

هكذا جاهر العراق بملاحظاته وانتقاداته للسياسة الامريكية في المنطقة واتخذ مواقف علنية هي بمثابة التحدي المباشر للولايات المتحدة ، مثل الدعوة لسحب الإسطول الأمريكي من الخليج العربي بعد انتهاء الحرب العراقية – الإيرانية ، وهي الدعوة التي وردت واضحة قوية في خطاب الرئيس صدام حسين خلال قمة عمان لمجلس التعاون العربي في شباط (فبراير) من سنة 1990 .

إذن كل شيء يصدر نحو العراق هو محط شك ، بإعتباره مظهراً أو انعكاساً أو نتيجة لمؤامرة مدبرة او تدبر ضد البلاد وقيادتها ..

شخص الرئيس صدام حسين هذا التحسب العراقي خلال حديثه مع المستشار الألماني الأسبق فيلي برانت (7 / 11 / 1990 ببيغداد بقوله :

– ان من حق بغداد ، في ضوء الفجيرة التي مرت بها عبر التاريخ ، ان لا تطمئن الى ان من يتعامل معها يكون خالي الغرض ، وأن لا يتطمئن الى الذين يسعون لإضعافها او تحطيمها .

وظهر كتأب عراقيون يروجون لنظرية (المؤامرة) . في تفسير كل ما يصدر من الولايات المتحدة وحلفائها نحو العراق .

على ان هذا التيار السياسي والفكري لم يكن مقطوع الجذور عن ما سبقه من بدايات تكوين الفكر القومي العربي المعاصر في مطلع الأربعينيات من هذا القرن .. الى الحد الذي كان يذكر عن المفكر السوري زكي الارسوزي احد مؤسسي فكر البعث الى جانب المفكر الاول للبعث ميشيل عفلق ، انه إذا عثر في الطريق . صاح : ان الإنكليز والفرنسيين تعمّدوا وضع الحفرة في طريقه ، وقام منهجه في التعامل مع الآخرين على أساس ان هناك أمراً مدبراً في الضد من حركة التجديد العربي ، وان الغرب لا بد ان يقصد ما هو سيء من كل ما يقوم به او يصدر عنه .. !

خرج السيد جون كيلي مساعد وزير الخارجية الأمريكي من لقاؤه مع الرئيس صدام حسين في كانون الثاني (يناير) 1990 بإنطباع إيجابي عن امكانية تطوير العلاقات الثنائية ، بعد ان استمع الى كلمات إشادة بسياسة الرئيس الأمريكي ومواقف وزير خارجيته آنذاك .

اما العراقيون فاستنتجوا ان المبعوث الأمريكي متفهم للدور الإقليمي الذي يتمتع به العراق ، وان الإدارة الحكومية في واشنطن ستظل ترفض العقوبات التي اقترحتها أعضاء في الكونغرس ضد العراق .

وفي واشنطن دافع كيلي عن فكرة المحافظة على العلاقات مع العراق طبقاً لمفهوم : ان أفضل وسيلة للضغط على بغداد هي في إدامة الصلة معها ، وليس العكس .

ظل جون كيلي يدافع عن سياسة احتواء العراق لعدة اعتبارات وضعها في شهادته امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ يوم الخامس عشر من حزيران (يونيه) 1990 .. وهذه الإعتبارات كما وردت نصوصها في الشهادة هي كالآتي :

أولاً : ان العراق سينهض الآن ، وفي المستقبل بدور كبير في الخليج ، مهما تكن سياسة الولايات المتحدة ، وان هذا الدور قد يكون إيجابياً وقد يكون سلبياً

ثانياً : تشكل الطاقة عاملاً بارزاً في دور العراق الجديد ، إذ تشكل احتياطاته النفطية ثاني أكبر احتياطي بعد المملكة العربية السعودية .

ثالثاً : عدا عن ان العراق ينتج كمية كبيرة من النفط ، فانه يملك تأثيراً كبيراً ، سلباً أو ايجاباً ، على استقرار منطقة الخليج كلها وعلى نفعها أيضاً .

رابعاً : ان برامج العراق الكيماوية والنووية البايولوجية والصاروخية تقلق الولايات المتحدة .

لكن العراق لم يكن في وضع يقبل فيه بسياسة الإحتواء ، او الخضوع لمنطق If they join them beat tcan you .

في تلك الأثناء كان القرض الزراعي الأمريكي للعراق قد عُلق بسبب ما عدّه الأمريكان (أسباباً فنية) وعدّه العراقيون (أسباباً سياسية) حول مسألة الفروقات في أسعار البضائع المشتراة للعراق ، واحتمال وجود مشتريات تدخل في الصناعات العسكرية يجري تمويلها من القرض الزراعي .

تعززت الشكوك لدى بغداد بوجود تحول في موقف واشنطن عندما أذاع من راديو صوت امريكا تعليقاً يعبر عن رأي الحكومة الامريكية انتقد العراق بشدة حول مسألة حقوق الإنسان والحريات ، وقد إستاء العراقيون كثيراً ، وعدوا الأمر جزءاً من خطة كاملة منظمة ، وطلبوا توضيحاً من واشنطن التي أبلغت

بغداد اعتذاراً رسمياً مع إعلامها بفصل الموظف المتسبب في إذاعة التعليق ..

لكن التراشق لم يتوقف ..

فقد هاجم صدام حسين بعد اسبوعين من اجتماعه مع جون كيلي السياسة الأمريكية في المنطقة ، خلال استقباله لوزراء من مجلس التعاون العربي .. حتى اذا جاء خطابه في عمان يطالب برحيل الإسطول الأمريكي من الخليج بعد ان انتفت مبررات وجوده هناك .. نزل الأمر كالصاعقة على واشنطن . كان رد الفعل الأمريكي جدياً .. وغاضباً .. كما لم يكن في أية مناسبة من قبل .

ونقلت سفيرة الولايات المتحدة في بغداد الأنسة ابريل غلاسبي الى الخارجية العراقية رسالة (انزعاج شديد) وهي تتساءل عن مبررات هذه الدعوة في الوقت الذي كان عدد قطع الإسطول الامريكي في الخليج في حالة تناقص ، إنزُ نزل عددها من خمسين قطعة سنة 1988 الى ست قطع اليوم .. في شباط 1990 بدأ التخطيط الجدي في الولايات المتحدة للعمل علناً ، وبقوة ، ضد العراق ، بلا حذر أو تردد .. وبدا ان المعركة قد انفتحت .

لم يكن بالإمكان التعبئة في الولايات المتحدة ضد العراق قبل تبشيع النموذج العراقي ، فالجمهور يحتاج عادة ليقبل او يرفض اى صورة مفصلة للهدف الذي يتعامل معه ، وكان ميسراً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ان يحتك الامريكي بالصورة المصنعة للنموذج الروسي الذي يقتزن بابدان ضخمة ووجوه شاحبة ونظرات كثيية ، حتى يلحق بذلك تكريه بكل ما يتميز به الخصم بما في ذلك شرابه الوطني " الفودكا " او ما ينتسب لحليف خصمه حتى ولو كان تبغاً كما حصل مع السيكار الكوبي الذي منع من دخول الولايات المتحدة .

وتبع النموذج الروسي المبتع في الضمير الجمع الأمريكي نموذجاً آخر منذ سنة 1979 .. إنها إيران هذه المرة بكل ما اقترن باللحي الطويلة والعباءات السود وصور احتجاز الدبلوماسيين في طهران والعصابات المشدودة على جباة انصار ايران ومؤيديها والمعممين الذين يحملون رشاشات الكلاشنكوف الروسية .

اما العراق فقد كانت صورته حتى الثاني من آب تمثل حالة الشعب الأكثر تقدماً في منطقة الشرق الاوسط ، ورغم التعرض المباشر للسياسة العراقية في الإعلام الغربي الا ان صورة النموذج العراقي لم تكن مهشمة بمنطق الغرب الذي كانت آخر لقطة حفظها عن العراق انه البلد الذي يقاوم ايران وحارب الخميني ، وهذا يعني انه نقيض النموذج الإيراني الذي تمثله العباءات السود والعمامات وصورة مختطفي الرهائن والمدنيين من حملة الرشاشات . واستنجد الرئيس جورج بوش بصورة هتلر ليعيد تسويقها مجدداً من خلال مقارنتها بصورة الرئيس صدام حسين لوصف حالة القوة العسكرية النازعة للسيطرة على الآخرين ، في الوقت الذي استثمر فيه الإعلام الامريكي تصريحات أدلى بها احد المسؤولين العراقيين .. قال فيها .. اننا سنأكل الطيارين الامريكان حين يقعون بأيدينا ، وقد يكون هذا التصريح المتلفز عرض مئات المرات بلقطة مقربة للمتحدث في لحظة انفعال بقصد تركيب صورة جديدة لخصم جديد يتسم بالقوة التي تستحق من الامريكان ان يقاوموها ، مضافاً الى ذلك التحريض ضد العراق الذي تأسس عن صور الغربيين الممنوعين من مغادرة العراق خلال الأزمة .

انتهت حرب المواعيد بين بغداد وواشنطن عندما اتفقت العاصمتان على ان يجتمع وزير الخارجية في جنيف يوم 9 / 1 / 1991 . وهناك اكتمل اهم مشاهد أعداد الرأي العام الدولي للتعامل مع حرب محتمة الوقوع .

وقد لخصّ الوزيران جيمس بيكر وطارق عزيز ما دار في ست ساعات من المناقشة ، توزعت على جلستين ، كل على طريقته ..

سأل الوزير الامريكي :

– من يبدأ مؤتمره الصحفي أولاً ؟

فأجاب الوزير العراقي :

– أنتب .. أما أنا فسأراقب المؤتمر عبر شاشة التلفزيون في غرفتي .

وابتداً جيمس بيكر لقاءه مع الصحفيين ليعلن ان الوفد العراقي لم يأتيه بجديد ، ولم يعطه أية إشارة عن استعداداه للإسحاب من الكويت .

اما طارق عزيز فقال أنهما تبادلوا الآراء ، واستمعا الى بعضهما جيداً ، واستخدما لغة دبلوماسية لائقة في التخاطب بينهما .

وافترق الرجلان .. وكل منهما متأكد من قدوم الحرب ، ولم يكن قد خطر في بال أحدهما قبل المجيء الى جنيف انهما سيخرجان بنتيجة غير هذه .

– شكراً أيها السيد الوزير .

– شكراً لك .

كانت هاتان العبارتان . هي آخر ما تخاطب به الإثنين ليختتما آخر حوار رسمي بين الولايات المتحدة والعراق .. رغم ان طارق عزيز كان قد استكشف خلال الاجتماع مدى استعداد الوزير الأمريكي ، لمواصلة الحوار ، عندما اقترح عليه ان يزور بغداد . إلا ان جيمس بيكر أجاب على الفور :

late too is it –

ولم يقع خلال جلستي الاجتماع أي حدث صارخ ، يغير من مجرى التبادل الأخير للأفكار والأراء ، وكأن الرجلين يجريان مراجعة أخيرة قبل بدء الحرب... وعندما قدم بيكر رسالة مكتوبة من الرئيس الامريكي الى الرئيس العراقي ، قرأها طارق عزيز ملياً ، ثم أعادها في منتصف المسافة بينه وبين الوزير الامريكي ، معتذراً عن حملها الى بغداد لأنه كُتبت بلغة وجدها أقل من مستوى اللياقة اللازمة لمخاطبة رئيس الدولة .

... وظلت الرسالة في مكانها لتخلف وراءها هاجسين ، الأول : لماذا لم يلجأ الوفد العراقي الى إبقاء الرسالة الأصلية معه وقتاً قصيراً ليقيم بإستنساخها ؟ والثاني : هل ان النص الذي أُذيع عن الرسالة كان هو النص الحرفي للرسالة التي قدمت في الاجتماع .. أم ان لغتها في النص الأصلي كانت فعلاً ، أكثر حدة وخشونة .. ؟

إلا ان الرسالة ظلت في منتصف المسافة ، قبل ان يحفظها موظفو فندق الانتركونتننتال بجنيف مع الحاجات التي لا يسأل أصحابها عنها في العادة . لم يكن الوزيران وحدهما في جنيف ، فقد وصل اليها وسطاء سريون ، ومسؤولون رسميون ، كل منهم يريد ان يسجل حضوره في المشهد التاريخي الاخير ، قبل القطيعة بين واشنطن وبغداد ، فوزير الخارجية الجزائري آنذاك سيد احمد غزالي قدم للوزير العراقي قبل الاجتماع عرضاً للموقف الاوربي ، وأراد ان يستمع آراء العراقيين ، وان كان ثمة أي تغيير قد طرأ عليها ، أما رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية فاروق قدومي فقد توصل في العرض الذي قدمه للوزير العراقي ان الحرب صارت محتمة قبل ستة ايام من تاريخ انتهاء موعد الإنذار الذي وجهه مجلس الأمن الى العراق ..

في حين كان إدغار بيزاني رئيس معهد العالم العربي ومستشار ميثران للشؤون العربية قد بدأ قبل 24 ساعة اتصالات غير معلنة في الوقت الضائع مع ممثل العراق لدى المكتب الاوربي للأمم المتحدة في جنيف السيد برزان التكريتي ، وهو الرجل الثاني الذي جلس الى جوار الوزير طارق عزيز ، دون ان يتكلم ، طوال الاجتماع ، وقد يكون وجد من المناسب ان يتكلم شخص واحد هو ذلك الذي يقود الفريق في إجتماع حاسم من هذه النوع حتى ان الوزير العراقي لم يبدُ سعيداً عندما قدم المشاور الثانوي رياض القيسي مداخلة قصيرة .

أما الوزير جيمس بيكر فكان هو الآخر المتحدث الوحيد ، عدا المرة الوحيدة التي وجه فيها الاسئلة الى مساعديه عندما سألهم عن برقيات كانت مرسله من بغداد لمتابعة الجوانب الإجرائية للقائه مع الوزير العراقي .

وكانت أهم ملاحظة أوصى بها طارق عزيز المترجم الذي جاء به معه ، قبل الدخول الى الإجتماع :

– لن أتكلم الإنكليزية .. سيكون حديثي بالعربية فكن أنتب دقيقاً للغاية .. هذا لقاء شديد الحساسية ولا بد أن تصل أفكارنا بمنتهى الدقة الى الوفد الامريكي ..

فالعراق أراد في تلك اللحظة ، أن يكون مفهوماً لدى الولايات المتحدة ، وان يقدم خطابه واضحاً دقيقاً ، ليجعل آخر جلسة للحوار خالية من سوء الفهم المركب الذي ظل يلاحق العلاقات الثنائية ..

أراد ان يكون مفهوماً .. دون أدنى درجة من الإلتباس او الخلط ..

وعندما انتهى الاجتماع ، اعتمد العراقيون الملاحظات التي دونها بإقلامهم ، بالعربية و الإنكليزية ، أما الامريكان فكانوا يسجلون على الورق أيضاً .. لكنهم في حقيقة الأمر كانوا يسجلون بالصوت كل ما دار في الجلسة .. ويحصون أنفاس الحاضرين ، ليعودوا الى واشنطن بشريط مسجل عن لقاء لم يكن أحد ليتوقع منه صنع المعجزة .

كان على وكيل الخارجية العراقية نزار حمدون ان يعود لإجراء فحوصات طبية بعد ثلاثة أشهر على انتهاء الحرب ، فتقدم بطلب للحصول على سمة الدخول الى الولايات المتحدة ، التي لم تتأخر في منحه إياها ..

لكنه عندما بدأ يستكشف ، من خلال اتصالاته بأصدقائه القدامى ، امكانية إعادة بناء حوار منهار ، وجدهم ، يتحولون من الحديث في هذا الشأن الى موضوعات شخصية ، حتى اذا ألحَّ في فتح مناقشة سياسية ، وجد اكثر من شخص بينهم يقترح عليه البقاء في الولايات المتحدة ، والتمتع بعيش هادىء فيها ، فلم يجد غير ان يجمع حاجاته ، ويعود الى بغداد ، متيقناً ان الحوار صار مستحيلاً ، وانه ليس ثمة بوادر في المستقبل المنظور لحصول تغيير جوهري في السياسة الامريكية نحو العراق ، طبقاً لثبات العوامل التي تتحكم بالمنظور الامريكي تجاه البلدان العربية ، القائمة على عدم التمسك بمصالح الولايات المتحدة في الخليج حيث يوجد مستودع النفط العالمي ، ومبدأ الدفاع عن إسرائيل ، ومبدأ إيلاء مصر اهتماماً كمركز لتكتيل موقف عربي تصالحي مع اسرائيل وغير معادٍ للمصالح الأمريكية .

لذلك فإن صورة العراق التي تكونت قبل 2 / 8 / 1990 وبعده ، ما تزال ماثلة في واشنطن بعد سنتين على بدء الأزمة ، فهو الذي تجاوز الخطوط الحمر ، وشكل تهديداً لأمن اسرائيل ، ولأمن أصدقاء الولايات المتحدة ، ثم ما ترتب على ذلك من خطر عدّه الأمريكان تهديداً لمنابع النفط في المنطقة . ولن يحصل تغيير في سياسة الولايات المتحدة نحو العراق الا بخصوص متغيرات جيو - سياسية جوهريّة مثل :

* عودة الخطر الايراني ليهدد الأقطار العربية في الخليج ، وإقترابه من منابع النفط ومصالح الولايات المتحدة في المنطقة .

* حصول تغيير جذري في دولة رئيسية من دول المنطقة سواء كانت مصر ام سوريا ام السعودية بحيث تتغير التحالفات التي أنشأتها الحرب .

* وقوع حرب بين تركيا وإيران بحيث يصبح العراق عاملاً مرجحاً في صراع جديد .

* او ان تعقد بغداد وواشنطن صفقة كبرى حول نفط العراق ونفوط المنطقة .

وحتى تحصل متغيرات بهذا الحجم ، وقد لا تحصل ، فان التفجرات ستستمر ، ويستمر معها تشقق الأرض من تحت أقدام الواقفين عليها زمنياً طويلاً مليئاً بالمفاجآت الصاخبة .

محضر مقابلة الرئيس صدام حسين مع الأنسة ابريل غلاسبي سفيرة الولايات المتحدة في بغداد 1990 / 7 / 25

الرئيس صدام حسين :

تعرفون ان علاقاتنا كانت مقطوعة مع الولايات المتحدة الى عام 1984 ، و تعرفون الظروف والأسباب التي أدت الى قطع العلاقة ، وقد بينا لكم ان قرار اعادة العلاقة مع الولايات المتحدة كان قد اتخذ في الواقع في عام 1980 ، وربما خلال الشهرين اللذين سبقا قيام الحرب بيننا وبين ايران . ولكن عندما قامت الحرب ، مع ملاساتها المعروفة ، ولاننا حريصون على ان نتصرف بالقضايا الكبيرة بما لا يجعل المقابل يفسر الامور الا في اطارها الصحيح ، أجلنا اعادة العلاقة على أمل أن تنتهي الحرب .

ولأن الحرب استمرت طويلاً .. وتأكيدياً لمبادئنا التي تقول أننا جهة غير منحازة ، كان لا بد أن نعيد العلاقات مع الولايات المتحدة .. فجاء التوقيت لإعادتها في عام 1984 .

ومن الطبيعي أن نقول ، ان الولايات المتحدة ليست مثل انكلترا مثلاً ، من حيث قدم علاقاتها مع دول الشرق الأوسط العربية ومنها العراق ، واذا أضفنا الى هذا ، أنه لان العلاقات بين البلدين كانت مقطوعة طيلة المدة بين أعوام 1967 – 1984 لا بد ان نقول انه سيصعب على الولايات المتحدة ان تفهم الكثير من الأمور في العراق كما ينبغي ، وكان مؤملاً ، بالعلاقة الجديدة التي استؤنفت أن نعاون بعضنا ، لكي يفهم كل منا الآخر ، لأننا نحن أيضاً كنان وما زلنا ، نهمل الكثير من الخلفيات والأمر التي يستند اليها القرار الأمريكي .

تعاملنا مع بعضنا اثناء الحرب ، وأجرينا الحوار على المستويات التي أتاحتها الفرص ، لان تجري العلاقة والحوار فيما بيننا ، وكان أهم مستوى في إجراء الحوار هو مستوى وزير الخارجية .

وكنا نأمل ان تزداد مساحة الفهم المشترك ، وان تتسع فرص وامكانات التعاون بما يعود بالمصلحة على الشعبين العراقي والامريكي ، بل وعلى الأمة العربية كما كنا نأمل ، وكلما وجدت الأطراف المعنية أن هذا ممكن .

غير أن العلاقة وهي حديثة عهد ، تعرضت الى بعض المنغصات والضربات وهي في خط سيرها على الطريق .

أهم ضربة تعرضت لها العلاقات كانت في عام 1986 (بعد سنتين من اعادة العلاقات) ، فيما سُمي بقضية (إيران – غيت) وصادف في ذلك العام ، احتلال الفاو من قبل ايران .

ومن الطبيعي ان نقول ان كل علاقة ، نستطيع مع قدمها وتشابك المصالح ، ان تغطي ارتكاب الاخطاء التي تحصل فيها ، ولكن عندما ما تكون المصالح في هذه العلاقة صغيرة الحجم ، ولم تتسع بعد ، وعندما تكون العلاقة ليست قديمة بما يكفي ، لتوجه أطرافها ، لكي تتفهم بعضها البعض ، لا بد أن يترك كل خطأ في طريقها ، نوعاً من الأثر ، هو بحجم الخطأ وربما في بعض الأحيان أكبر من حجمه ، ولكن في كل الأحوال لا يكون الأثر أقل من حجم الخطأ .

مع ذلك ، فبلنا الاعتذار الذي قدمه الرئيس الامريكي (حول ايران غيت) عن طريق مبعوثه الينا ، واعتبرنا ذلك يكفي عن الماضي ، وينبغي ان لا ينحني الماضي الا اذا ارتبطت به خطوات لاحقة ، تُذكر بان الخطأ الماضي ليس مجرد خطأ عابر .

استمرت علاقاتنا هكذا ، وبدأت الهواجس تزداد بعد ان حررنا الفاو ، فاختلفت الإعلام بالسياسة ، وبدأت هواجسنا تظهر على السطح من جديد ، وبدأت علامة الاستفهام ترسم متساءلة ماذا تريد الولايات المتحدة عندما تكون غير مرتاحة لنتائج القتال التي حررنا بها أرضنا ؟

كان واضحاً لدينا بما لا يقبل لشك ، ان هنالك ارساطاً في الولايات المتحدة ، ولا نقول الرئيس الامريكي ، لانه ليس لدينا ما هو ملموس على هذا ، ولكن هناك اوساطاً في الولايات المتحدة يرتبط بعضها بأوساط جمع المعلومات والمخابرات او الاستخبارات ، وبعض الأوساط في الخارجية ، ولا أستطيع ان أقول وزير الخارجية .. أقول بدا لنا ان هذه الأوساط غير مرتاحة لتحرير أراضيها ، وبعض الاوساط مما ذكرنا تجمع معلومات تحت عنوان " من الذي

يخلق صدام حسين ؟ " ثم بدأت تجري الاتصالات مع دول الخليج ، على اساس تخويف هذه الدول من العراق ، وتعلن الرغبة او توجي بها ، لكي لا تقدم دول الخليج ، أية معاونة اقتصادية للعراق ، وقد لمسنا بما لا يقبل الشك تأثير هذه النشاطات . وأضاف الرئيس : خرج العراق من الحرب وهو مدين

للآخرين بحجود (40) مليار دولار .. عدا المساعدات التي قدمت للعراق ، والتي ما زالت مسجلة عليه كديون من قبل بعض الدول العربية ، مع انهم يعرفون وانتم تعرفون بأنه ولولا العراق ، لما بقيت هذه المبالغ وغيرها عند أصحابها ولأصبح مستقبل المنطقة على غير ما هو عليه .

أنتم وغيركم نظمت مشروع مارشال لكل حلفائكم بعد الحرب وكنتم خلال الحرب تقدمون مساعدات سخية لهم ، هذه كله كانت تقدم لهم من دافعي الضرائب الأمريكيان .

ثم بدأنا نواجه بسياسة خفض أسعار النفط ، ثم بدأت أمريكا التي تتحدث عن الديمقراطية ، تضيق ذراعاً بالرأي المقابل ، بدأت الحملة الإعلامية ، تشن على صدام حسين من مركز الإعلام الأمريكي الرسمي ، وفي ظن الولايات المتحدة ان حال العراق مثل الحال في بولونيا او رومانيا او جيكوسلوفاكيا . انزعجنا من الحملة ، ولكن لم ننزعج كثيراً ، على امل ان نترك فرصة كافية ، عدداً من الأشهر ليعاين صاحب القرار الأمريكي بنفسه وليلمس ، هل ترك هذا الإعلام أثراً ما في حياة العراقيين ما كان يراد ان يتركه من إثر أم ان الأمر مختلف ؟

كان أملنا أنه بعد هذه الفرصة الطويلة ، سيصبح بمقدور المسؤولين الأمريكيين ، ان يتخذوا قرارات أكثر صواباً في العلاقة مع العراق . من المسلم به ان العلاقة ، حتى وهي ترتقي الى أي مستوى من مستويات الصداقة ، لا تفترض التطابق .. بل وان الأمريكيان يرون انه حتى داخل القيادة الواحدة لا يفترض ان يكون هنالك تطابق في الآراء .

ولكن عندما تخفض أسعار البترول بشكل مخطط ومتعمد وبدون سبب تجاري او إقتصادي تقتل إنسانية البشر بعد ان تسلبها فرصتها في الحياة الكريمة .

ونحن كما تعلمون ، أعطينا أنهاراً من الدم في حرب استمرت ثماني سنوات .. ولم نتنازل عن إنسانيتنا ، أي حق العراق في ان يعيش بكرامة وعليه ، لا نقبل على الإطلاق (وإذا كنا لا نقبل هذا بدرجة معينة قبل الحرب ، فالآن لا نقبله بدرجة مضاعفة) ان يخل احد بكرامة العراقيين أو بحقهم في العيش حياة سعيدة ومرفهة ومزدهرة .

الكويت والإمارات ، كانا وجه هذه السياسة التي تريد ان توصل الى ما يُدعى العراق وتسلبه فرصة الحياة السعيدة ، وأنتم تعرفون أن علاقتنا كانت جيدة مع الإمارات والكويت .

نضيف الى هذا ، ان دولة الكويت ، ونحن مشغولون بالحرب كانت تتوسع على حساب أراضيها . قد تقولون ان هذا في حكم الدعاية ، لكننا نقول ، بإمكانكم ان تعودوا الى وثيقة واحدة ، والتي تسمى (خط الدوريات) وهو الخط الذي اعتمدته الجامعة العربية ، لتجعل أية قوة عسكرية في عام 1961 بعيدة عن هذا الخط ، أي على الحافة القريبة منه . عاينوا وقفوا في الحافة الاخرى التي هي بإتجاه الكويت ، وانظروا .. أكانت توجد عليها مخافر شرطة او مزارع او منشآت نفطية والى عمق بعيد ، من هذا الخط .. أي خط الدوريات .

ان كل هذه المرافق والمنشآت ، استخدمت بتخطيط مقصود لفرض الامر الواقع على العراق . ومن الطبيعي ان نقول ، انه خلال هذه المدة كانت حكومة الكويت مستقرة ، بينما الحكومة في العراق تتغير .. وحتى بعد عام 1968 والى عشر سنوات بعدها ، كنا نحن مشغولين بأمر كثيرة .. مرة في الشمال ، واخرى في حرب 1973 ، وغيرها من الإنشغالات ، ثم جاءت بعد ذلك الحرب مع إيران التي مضي عليها الآن عشر سنوات .

في تقديرنا يجب ان تفهم الولايات المتحدة بأن المرفهين المتمكنين إقتصادياً ، يستطيعون ان يتفاهموا معها على ما هو مشروع من المصالح المشتركة ، فيما لا يستطيع ذلك من يجوع ، او تسلب فرصته في حياة سعيدة .

نحن لا نقبل التهديد من أحد ، لذلك لا نستخدم التهديد .. لكننا نقول بوضوح ، نأمل ان لا تتوهم الولايات المتحدة كثيراً ، وان يكون سعيها لكسب أصدقاء ، وليس إضافة أرقام جديدة الى الأعداء .

أنا إطلعت على التصريحات الأمريكية التي تتحدث عن الأصدقاء في المنطقة .. واقول ، من حق كل جهة ان تختار أصدقاءها في المنطقة .. ومن حق كل جهة في العالم ان تختار أصدقاءها .. نحن لا نعترض على هذا .. ولكن انتم تعرفون ، انكم لستم الذين حميتهم أصدقاءكم خلال الحرب مع ايران .. وأنا أجزم لو أن الإيرانيين إندفعوا في المنطقة ، لما استطاعت الجيوش الأمريكية ان تصدهم وتوقفهم إلا باستخدام القنابل النووية .

هذه ليست نظرة استصغار لكم ، وانما مرتبطة بطبيعة الجغرافية وبطبيعة المجتمع الأمريكي ، التي تجعله لا يستطيع ان يتحمل في معركة واحدة عشرة آلاف قتيل .

وأنتم تعرفون ان إيران وافقت على وقف إطلاق النار ليس بسبب ضرب أمريكا منصة صغيرة في منصات تحميل النفط بعد تحرير الفاو .. فهل هذه هي مكافأة العراق على دوره في إستقرار المنطقة وحمايتها من طوفان لم نكن نعرف على أي شاطئ كان سيضعها ؟

ماذا يعني قول أمريكا الآن أننا ملتزمون بحماية أصدقائنا بصورة فردية وجماعية ؟ انه يعني بوضوح ، انحيازاً واضحاً ليس الى جانب الجهة الفلانية من

دون الجهة الفلانية الاخرى ، وانما انحيازاً واضح ضد العراق في هذه المرحلة .

هذا الموقف فيه تشجيع واضح للكوييت وللإمارات ، ومع التصريحات الأخرى والمناورات ، لكي لا تحترم دولتا الامارات والكوييت حقوق العراق .
أقول لكم بوضوح .. ان حقوق العراق التي وردت في المذكرة سنأخذها واحدة واحدة .. قد لا يحصل هذا الآن .. او بعد شهر او بعد سنة .. ولكننا سنحصلها كلها ، لاننا لسنا من النوع الذي يسكت على حقه .. وليس هناك استحقاق تاريخي او شترعية او حاجة لتستحوذ الإمارات والكوييت على حقوقنا .. فان كانوا (محتاجين) فنحن أيضاً محتاجون .

إذن على الولايات المتحدة ان تكون منسجمة مع هذا الوقع ، ويجب ان تظهر بوضوح انها تريد الصداقة مع الجميع حيثما رغب الجميع بصداقتها ، وتعادي من يعاديهها .. ويجب ان لا تعادي من يختلف معها في وجهة النظر في الصراع العربي الإسرائيلي او في شؤون الحياة الاخرى .

نحن نفهم تماماً قول امريكا بانها حريصة على تدفق النفط ، ونفهم قول امريكا بأنها تريد علاقات صداقة مع دول المنطقة ، وان تتسع مساحة المصالح المشتركة في المجالات المختلفة ، ولكن لا يمكن ان نفهم محاولات تشجيع البعض لكي يلحق الضرر بالعراق .

تريد الولايات المتحدة ضمان تدفق النفط .. هذا مفهوم ومعروف .

تريد امريكا السلام في المنطقة .. وهذا هو الذي نسمعه .. هذا مفهوم .

لكن عليها ان لا تعمل بالطرق التي تقول انها لا تحبها وهي طرق الضغط واستعراض القوة .

إذا استعملتم طرق الضغط والاكراه .. نحن سنعمل بطريقة الضغط واستخدام القوة .

نحن نعرف انكم قادرون على إلحاق أذى بنا .. ونحن لا نستخدم التهديد ضكم .. لكن نحن أيضاً قادرون على إلحاق أذى بكم .. وكل واحد يلحق أذى بقدر حجمه .

نحن لا نستطيع ان نأتي إليكم في الولايات المتحدة .. ربما يصل اليكم أفراد عرب .

أنتم تستطيعون ان تأتوا الى العراق بطائرات وبصواريخ .. نعرف هذا .. لكن لا توصلنا الى ان نستخف بكل هذا !!! متى نستخف بهذا ؟

عندما نشعر أنكم تريدون ان تذولونا وان تنتزعوا فرصة العراقيين في العيش بكرامة وسعادة .

عند ذلك .. لا نأبه إذا وجهتم علينا مقابل الصاروخ الواحد ، مائة صاروخ ، لأنه من غير هذه ، لا كرامة للإنسان ولا حياة ذات قيمة .

ليس من المعقول أن نطلب من شعبنا أن ينزف كل أنهار الدماء طيلة 8 سنوات ، ثم نقول له الآن عليك ان تقبل العدوانية الكوييتية او الإماراتية او من الولايات المتحدة او من إسرائيل .

نحن لا نضع هذه الدول بمستوى واحد .. أولاً نحن متألّمون ان يحصل بيننا وبين الكوييت والإمارات هذا ، والحل ملا حصل يتم ضمن الإطار العربي .. وبالعلاقة الثنائية المباشرة .

لا نضع امريكا كعدو .. ولكن نضعها حيث نرغب ان نكون أصدقاء .. وحاولنا ان نكون ، ولكن يبجو من تصريحات امريكا المتكررة خاصة خلال السنة الماضية بانها لا تضعنا كمشروع صداقة .. وهي حرة في تصرفها هذا .

نحن عندما نسعى لأن نصادق ، نريد مع الصداقة ، الكرامة ، الحرية ، الحق في اختيار فرصنا كما نجتهد ، وخاصة الفرص التي لا تلحق أذى بطرف الصداقة .

نريد ان نتعامل بحجمننا ونعامل الآخرين بحجومهم .

نريد مصالح الآخرين ، في الوقت الذي نتعامل مع مصالحنا ، وعلى الآخرين ان يروا مصالحنا في الوقت الذي يتعاملون مع مصالحهم .

ماذا يعني استدعاء وزير الحرب الصهيوني في هذا الوقت الى امريكا ؟

ثم ماذا تعني هذه التصريحات الملتهبة التي تخرج من (اسرائيل) في الأيام الثلاثة او الأربعة الأخيرة ، والحديث عن احتمالات اقتراب الحرب أكثر من السابق .

نحن لا نريد الحرب .. لأننا نعرف معناها .. ولكن لا تدفعونا الى ان نعتبرها هي الطريق الوحيد امامنا لنعيش بكرامة ويعيش بقيتنا بسعادة .

نحن نعرف ان لدى الولايات المتحدة قنابل نووية .. ولكننا مصممون على ، اما ان نعيش بكرامة او نذهب كلنا ! ولا نعتقد ان هناك انساناً شريفاً في الكرة الأرضية لا يفهم هذا المعنى .

نحن لا نطلب منكم ان تحلوا مشاكلنا .. أنا قلت ان مشاكلنا العربية نحلها فيما بيننا .. ولكن لا تشجعوا بعض الناس ان يتصرفوا بأكبر من حجومهم وعلى

الباطل .

الذي يصادق العراق لا أظنه يخسر .. ما زال الرئيس الامريكى في تقييمي انه لم يرتكب خطأ تجاه العرب ، وان كان قراره يتعليق الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية قراراً خاطئاً .

ولكنه قرار يبدو انه ينطوي على مجاملة ما لتيار الضغط الصهيوني ، وربما ينطوي على تكتيك ما ليمتص التعبئة الصهيونية ويعيد الكرة . نحن نأمل ان يكون استنتاجنا الأخير صحيحاً .. لكن سنظل نقول انه قرار خاطيء .

تجاملون المغتصب بعشرات العناوين والمفردات في الاقتصاد وفي السياسة وفي الإعلام وفي الأسلحة .. متى يحين الوقت لتجاملوا بعد كل ثلاثة عناوين للمغتصب بعنوان واحد للعرب ؟ ! ومتى تجد الانسانية فرصتها الحقيقية في القرار الامريكى العادل ، بحيث يوازن في الحقوق الانسانية ل (200 مليون انسان مع (3) ملايين يهودي ؟

إذن نحن راغبون في الصداقة من غير ان نركض وراءها .. نقوم بواجبنا .. نرفض الإيذاء من أية جهة جاءت .. وإذا حصل إصراراً على إيذائنا سنقاومه .. وهذا حق انساني ، سواء جاء الإيذاء من امريكا او الامارات او الكويت او إسرائيل .

طبعاً لا أضع هذه ادول على مستوى واحد .

اسرائيل تغتصب أرض العرب .

امريكا تساندها .

لكن الامارات والكويت لا تساعدها ، وهم عرب في كل الأحوال ، اما عندما يصرون على إضعاف العراق ، فهم يساعدون الأعداء .. عند ذلك من حق العراق ان يدافع عن نفسه ..

في عام 1974 ، التقيت مع ابن الملا مصطفى البارزاني في هذا المكان الذي تجلسين عليه .. وكان اسمه ادريس .

جاءني بطلب تأجيل تطبيق الحكم الذاتي في كردستان العراق كما أتفق عليه في بيان 11 آذار لسنة 1970 . فقلت له لدينا إصرار على ان نلتزم بتعهداتنا وعليكم كذلك الإلتزام بتعهدكم .. وعندما رأيت ان هناك نوايا شر من البارزاني ، قلت له سلم لي على أبيك وانقل له ان صدام حسيني يقول ما يلي : وحدثته عن توازن القوى بالأرقام والمعطيات مثلما تحدثت مع الإيرانيين في رسائلتي المفتوحة اليهم أثناء الحرب .. وخرجت من الحديث حول هذه الأمور بنتيجة أوجزتها له بالقول ، انه إذا حصل قتال عسكري سننتصر .. وقلت له أتعرف لماذا ؟ لكل هذه الأسباب التي ذكرتها زائداً سبباً سياسياً .. أنتم تعتمدون على خلافاتنا مع إيران (الشاه) .. وغير ان مستندة في خلافها مع العراق على أطماعها بالحصول على نصف شط العرب فإذا كان الإختيار ان نحافظ على العراق كله ومعه شط العرب ونكون بخير فسوف لن نتنازل عن شط العرب .. وإذا وضعنا في زاوية أما نصف شط العرب او كل العراق ، فإننا سنعطي نصف شط العرب لنحافظ على العراق كما نتمنى له .

نأمل ان لا تدفعوا الأمور لتذكرنا بهذه الحكمة في علاقاتنا مع إيران .. لكن بعدها أعطينا نصف شط العرب والبارزاني مات ودفن خارج العراق وخسر معركته .

وقال الرئيس موجهاً الكلام الى السفارة الأمريكية :

فنأمل ان لا ندفع الى هذا .

ان كل الذي يعطل العلاقة بيننا وبين ايران الآن هو شط العرب . فعندما نرى اننا امام ان يعيش العراق بعز وكرامة او شط العرب ، سنقف لنناقش على اساس الحكمة التي قلناها في عام 1974 .. وعند ذلك مثلما خسر البارزاني فرصته التاريخية ، سيخسر كثيرون فرصتهم التاريخية . مع تحياتي للرئيس بوش .

وآمل أن يطلع الرئيس على هذا وان لا يتركه بيد المجموعة في وزارة الخارجية ، وأستثني من هذه المجموعة وزير الخارجية وكيلي ، لأن رايته ورأيتي عقليته وتبادلت الحديث معه .

قالت السفيرة :

أشكركم سيادة الرئيس .. من دواعي السعادة الكبيرة لدبلوماسي ، ان يلتقي ويتحدث مباشرة الى الرئيس .. وأنا أفهم بوضوح الرسالة التي تحدثتم بها .. وأنتم تتحدثون سيادة الرئيس ، درسنا في المدرسة درس التاريخ .. كانوا يعلموننا ان نقول الحرية او الموت . وأعتقد أنكم تعلمون جيداً أننا كشعب لنا تجربتنا ضد المستعمر .

سيادة الرئيس .. ذكرتم أشياء كثيرة خلال هذه اللقاء .. ليس بوسعي أن أعلق عليها نيابة عن حكومتي .. لكن بعد إذنكم أعلق على مسألتين :

تحدثتم عن الصداقة وأعتقد انه كان واضحاً من رسائل رئيسنا اليكم بمناسبة العيد الوطني انه يؤكد ..

قال الرئيس :

كان كريماً وتعبيره محل تقديرنا وإحترامنا .

قالت السفيرة :

وكما تعرفون انه وجه الإدارة الأمريكية بالرفض القاطع والحديث لمقترح فرض العقوبات التجارية .

قال الرئيس مبتسماً :

لكن لم يبق لدينا شيء نشتريه من أمريكا .. فقد الحنطة .. لأنه كل ما نريد ان نشترى شيئاً ، يقولون هذا ممنوع .. ونخشى ان تقولوا ان الحنطة أيضاً تصلح

للبارود !!

قالت السفيرة :

ان لدي توجيهاً مباشراً من الرئيس شخصياً أن أعمل علي توسيع وتعميق العلاقات مع العراق .

قال الرئيس :

ولكن كيف ؟ نحن أيضاً لدينا هذه الرغبة ، والأمور تجري من حيث النتيجة خارج الرغبة .

قالت السفيرة :

أعتقد كلما ناقشنا هذه القضايا ، يتقلص الإحتمال الذي اوردموه .. مثلاً أوردم قضية المقال الذي نشر عن طريق وكالة الاستعلامات الأمريكية .. لقد

كان محزناً فعلاً .. وقدمت اعتذاراً رسمياً حوله .

قال الرئيس :

موقفكم كريم .

نحن عرب .. يكفيننا ان يقول لنا المعني أنا آسف ، قد أخطأت .. ونمضي على الطريق .. لكن الإعلام بشكل عام استمر . ومليء بقصص مع الأسف ، لو انها

موجودة لا تسبب الزلزل .. لذلك نفهم من استمرار هذا النهج ان هناك إصراراً .

قالت السفيرة :

أنا رأيت برنامج دايان سوير في محطة C . B . A الذي جرى في هذا البرنامج امر رخيص وغير عادل ، وهو صورة حقيقية لما يجري في الإعلام الامريكي

حتى لسياسيين امريكيين .. هذه هي طريقة الإعلام التي يعمل بها الإعلام الغربي .

أنا مسرورة انكم تنضمون الى الدبلوماسيين لمواجهة هذا الإعلام .. لان ظهوركم في الاعلام حتى لو لمدة خمس دقائق ، يساعدنا على ان نجعل الشعب

الامريكي يفهم العراق .. وهذا شيء يزيد من الفهم المشترك ، ولكن لو كان بإمكان الرئيس الامريكي ان يسيطر على الإعلام ، لكان أداؤه لوظيفته أسهل .

سيادة الرئيس .. لا أريد ان أقول ان الرئيس بوش يريد علاقة أفضل وأكثر عمقاً مع العراق فحسب ، بل يريد ان يكون للعراق أسهاماً تاريخياً في السلام

والإزدهار في الشرق الاوسط .

ان الرئيس بوش ذكي ، ولن يعلن أي حرب إقتصادية على العراق .

أنتم محقون .. صحيح الذي أوردموه من أننا لا نريد أسعاراً عالية للنفط .. لكن أسألكم ان تتأملوا احتمال الرغبة في ان لا تكون أسعار النفط مرتفعت جداً

قال الرئيس :

نحن لا نريد أسعاراً عالية جداً للنفط .. وسأذكر لك انه في عام 1974 أملت أفكار مقال كتبه السيد طارق عزيز مضمونه انتقاد شديد لإرتفاع أسعار النفط

.. وكان أول مقال يظهر من عربي بهذا الإتجاه .

قال السيد طارق عزيز :

وسياستنا في منظمة الأوبك ضد القفزات في الأسعار .

قال الرئيس :

غير ان السعر (25) دولاراً .. ليس عالياً .

قالت السفيرة :

عندنا كثيرون من الأمريكان ممن يتمنون ان يرتفع السعر الى أكثر من (25) دولاراً) ، لانه من ولايات تنتج النفط .

قال الرئيس :

كان قد وصل السعر في هذه المرحلة الى (12) دولاراً .. فعندما تنخفض من ميزانية العراق المتواضعة 6 – 7 مليارات .. فان هذا تدمير .

قالت السفيرة :

أعتقد أنا أفهم هذا .. وعشت سنين هنا وانا أعجب بجهودكم غير الإعتيادية من أجل إعادة البناء .. وأفهم ان هذا البناء يحتاج الى أموال .. وهذا نفهمه .. ولدينا رأينا في هذا الموضوع .. وهو ان تتاح لكم الفرصة لإعادة البناء ، ولكن الذي لا يتوفر لدينا رأي حوله هو الخلافات العربية – العربية ، مثل خلافكم الحدودي مع الكويت .

انا خدمت في اواخر الستينات في سفارة امريكا بالكويت . وكانت التوجيهات لنا في تلك الفترة . ان لا علاقة لكم بهذه القضية ولا علاقة لأمريكا بهذه القضية . وقد وجه جيمس بيكر متحدثنا الرسمي لان يعيد التأكيد على هذا التوجيه .. ونتمنى ان تتمكنوا من حل هذه المشكلة وبأية طريقة مناسبة ، عن طريق القليلي او الرئيس مبارك .. كل ما نأمله ان يجري حل هذه الامور بسرعة . ومع كل هذه هل أطلب منكم ان تنظروا في كيف يبدو هذا الامر بالنسبة لنا .

ان تخميني بعد (25) سنة خدمة في المنطقة ، هو ان تلقى أهدافكم الدعم القوي من اخوانكم العرب .. انا اتحدث الآن عن النفط .

ولكن انتم سيادة الرئيس ، قاتلتم بحق حرباً أليمة مرعبة ونحن بصراحة لا يمكن الا ان نرى انكم قد نشرتم قطعات كبيرة في الجنوب .

وبالشكل الإعتيادي هذا ليس من شأننا .. ولكن عندما نرى ان هذا الشيء يحصل في سياق الكلمة التي ألقيتها في ذكرى الثورة ، ثم نقرأ ونطلع على التفاصيل في رسالتي وزير الخارجية ومن ثم نطلع على وجهة النظر العراقية ، من أن إجراءات الامارات والكويت هي من حيث التحليل النهائي لها موازية لعدوان عسكري على العراق ، يبدو ان من المعقول لي على الاقل ، ان أقلق ، ولهذا السبب تلقيت توجيهاً بأن أتوجه بالسؤال بروح الصداقة وليس بروح المواجهة ، عن نواياكم ..

هذا هو الوصف البسيط للقلق الذي ينتاب حكومتي .. أنا لا أقصد أن الوضع هو وضع بسيط .. أنما قلقنا هو قلق بسيط .

قال الرئيس :

لا نطلب من احد ان لا يهتم بالسلام .. أو ان لا يقلق عندما يرى السلام يتكرر .. هذا شعور انساني صميم .. نحن نشعر به ، وانتم كدولة عظمى امر طبيعي ان تقلقوا ، لكن الذي نقصده ان لا يعبر عن هذا القلق بطريقة تشعر المعتدي ان هنالك من يعاونه على العدوان . هذا هو الذي نقصده .

نحن نريد ان نتوصل الى حل ينصفنا ولا يأخذ من حقوق الآخرين .. لكن في الوقت نفسه نريد ان نشعر الآخرين بأنه لم يعد لنا مجال للصبر تجاه تصرفاتهم التي وصل ضررها الى حليب أطفالنا والى رزق الأملة التي استشهد زوجها في الحرب ، والى رزق الايتام الذين فقدوا آباءهم أثناء الحرب . ثم نحن بلد من حقنا ان نزهدهر ، وطالما ضاعت علينا فرص .. وعلى الآخرين ان يقدروا دور العراق في حمايتهم وحتى هذا العراقي (يقصد السيد الرئيس القائد .. المترجم) أصبح في شعور صعب .. هذا شعور كل عراقي .. نحن لا نريد ان نعندي ، لكن لا نقبل ان يعتدى علينا . أرسلنا لهم مبعوثين ورسائل خطية ، وحاولنا معهم بكل الطرق .. تمنينا على خادم الحرمين الملك فهد ان يعقد اجتماعاً رباعياً على مستوى القمة ، فاقترح ان يكون على مستوى وزراء النفط .. ووافقنا ، وانعقد اجتماع وزراء النفط في جدة كما تعرفون .. وتوصلوا الى اتفاق لا يمثل الذي يفترض ان يكون ، لكن وافقنا عليه .

بعد الاجتماع بيومين فقط ، صرح وزير النفط الكويتي بما يخالف الاتفاق .

كذلك طرحنا ال موضوع أثناء قمة بغداد .. فبعد انجاز جدول اعمال القمة ، قلت للملوك والرؤساء العرب ، ان بعض الأشقاء يشنون علينا حرباً إقتصادية ، وان الحروب ليست كلها تستخدم الأسلحة هذا النوع من الحرب نعتبره بمستوى العمل العسكري ضدنا .. لانه اذا هبطت كفاءة جيشنا من الممكن عندما تعاود ايران الحرب ، ان تحقق أهدافاً لم تحققها في الماضي ، واذا هبط مستوى برنامجنا الدفاعي قد يشجع هذا اسرائيل لان تعتدي علينا . وقلت هذا أمام الملوك والرؤساء العرب .. فقد لم أشر بالاسم الى الكويت والامارات لانهم كانوا ضيوفني .

ثم انا كنت قد ارسلت لهم مبعوثين قبل هذا لكي أذكرهم بان القتال الذي قمنا به يتضمن دفاعاً عنكم ، فلا يجوز ان تبقى المساعدات التي قدمت لنا بصيغة

قروض .

قمن بأكثر مما تقوم به الولايات المتحدة تجاه من يعتدي على حقوقها .

وتحدثت بالموضوع مع الدول العربية الاخرى .. حكيت للأخ الملك فهد عدة مرات عن طريق المبعوثين وبالهااتف .

وحكيت مع الاخ الملك حسين .. ومع الشيخ زايد بعد انتهاء أعمال القمة ، والى ان أوصلته الى الطائرة هو يغادر الموصل الى الامارات .. وقال لي ، فقد انتظرتني الى ان اصل الامارات ، ولكن بعد وصوله ظهرت تصريحات في غاية السوء ليس منه ، وإنما من وزير النفط .

كذلك بعد اتفاق جدة ، واصلتنا اخبار ، انهم يتحدثون عن ان مدة الاتفاق شهران ، وبعدها يتصلون من الاتفاق . إذن قولوا لنا ، لو أن الرئيس الامريكي وضع في مثل هذا الموقف ماذا يفعل ؟

أنا قلت ان من أصعب الامور علي ان أتحديث علناً .. ولكن لا بد ان نقول للعراقيين الذي يجدون نقصاً في أرقامهم من هو المسؤول عن ذلك .

قالت السفيرة :

قضيت أربع سنوات جميلة في مصر .

قال الرئيس :

مصر شعب كريم .. طيب .. عريق . يفترض ان اهل النفط يساعدون شعب مصر .. لكن مع الاسف بعضهم بخلاء الى الحد الذي لا يصدق .. ومن المؤلم ان بعضهم غير محبوب عند العرب بسبب بخلهم .

قالت السفيرة :

سيادة الرئيس .. يساعدنا ويكون من دواعي اهتمامنا اذا اعطينا تقييماً للجهود التي يبذلها اخوانكم العرب ، وإذا كان هناك أي نجاح ؟

قال الرئيس :

في هذا الموضوع .. خلاص .. اتفقنا مع الاخ الرئيس مبارك ، أن يلتقي رئيس وزراء الكويت مع نائب رئيس مجلس قيادة الثورة من عندنا في السعودية .. لان السعودية كانت البادئة في الاتصال معنا .. وجاءت جهود الاخ الرئيس مبارك تصب في الاتجاه نفسه .. وكان الآن معي على الهاتف .. وقال ان الكويتيين موافقون .

قالت السفيرة :

مبروك .

قال الرئيس :

سيعقدون في السعودية اجتماعاً بروتوكولياً .. ثم ينتقل الاجتماع الى بغداد ، لبحثوا أمورهم بعمق بين الكويتيين والعراقيين مباشرة .. ونأمل ان نصل الى نتيجة .. ونأمل ان النظرة البعيدة والمصلحة الحقيقية تتغلب على البخل الكويتي .

قالت السفيرة :

هل من الممكن ان أسألكم متى تتوقعون أن يأتي الشيخ سعد الى بغداد .

قال الرئيس :

يفترض السبت او الإثنين بالكثير كما قال لي الأخ الرئيس مبارك .. وقد قلت للأخ مبارك ان الإتفاق ان يكون في بغداد السبت او الأحد .. لكن تعرفون أن الأخ مبارك (يمون علينا) .

قالت السفيرة :

هذه أخبار سعيدة .. وأنا أهنئكم .

قال الرئيس :

قال لي الأخ مبارك ان الكويتيين خائفون ويقولون يوجد عسكر على بعد عشرين كيلومتراً من خط الجامعة العربية . فقلت له بغض النظر عما يوجد سواء أكان الموجود شرطة او جيشاً وكم عدد الموجود وماذا يفعل ، طمئن الكويتيين .. ونحن من جانبنا لن نحصل أي شيء الى ان نلتقي معهم .. وعندما نلتقي ونرى ان هنالك أملاً ، لن نحصل شيء .. وعندما نعجز عن إيجاد مخرج ، فأمر طبيعى ان لا يقبل العراق ان يموت .. ومع ذلك الحكمة هي فوق كل شيء آخر .

فانذ الآن عندك أخبار جيدة .

قال السيد طارق عزيز :

هذه اخبار سبق صحفي .

قالت السفيرة :

كنتُ قد خططت لأسافر الى الولايات المتحدة يوم الإثنين القادم .. وأملني ان ألتقي الاسبوع المقبل في واشنطن بالرئيس بوش .. لكن بسبب الصعوبات التي بدأنا نواجهها فكرت بتأجيل السفر .. أما الآن فيأني سأسافر يوم الإثنين .

نص لقاء الرئيس صدام حسين مع القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد جوزيف ويلسون الساعة - / 2 ظهر يوم 6 / 8 / 1990

الرئيس : ما هي اخبار السياسة والدبلوماسية ؟

ولسن: وزيركم من خلال CNN لديه معلومات اكثر مني .

الرئيس : بعثت عليك حتى ندرس المستجدات التي حصلت بعد لقائنا مع السفيرة . بعد ذلك اللقاء فشلت المحادثات بيننا وبين الحكومة السابقة في الكويت وحصل الذي حصل .

ولسن : الوزير أطلعني بشكل مبكر .

الرئيس : انا مطلع على الموقف الامريكي بتفاصيله ، حتى الآن نحن نفهم انه عندما يحصل مثل هذا الوضع فان امريكا تتخذ موقفاً سواء يحصل في الوطن العربي ، اوربا ، آسيا او امريكا اللاتينية . ولسنا مستغربين من ان تشجب امريكا عملاً من هذا النوع وخاصة عندما لا تكون طرفاً فيه . ولكن اردت ان أقول ان على امريكا ان لا تنجح تحت استشارات مخطوءة الى عمل تجد نفسها معه قد وضعت موضع الاحراج .

وانا اقول هذا لان من طبيعتنا مهما تكن قناعتنا او قناعة الطرف الآخر ان نبذل ما نراه ضرورياً ، لمنع الضرر الذي يمكن ان يقع بضوء تطورات الظروف في الحاضر او المستقبل .

ولا شك انكم قد اطلعت على رسائلنا الى ايران خلال الحرب وقد ضمنها استشارة مخلصه ومجانية لرؤية الحاضر والمستقبل ، ولأنها صريحة جداً بصورة الأيرانيون بأنها تكتيكية . ولكننا قلنا كل ما نفكر به لاننا كنا نريد السلام ونتألم من استمرار الحرب ، وتعرفون النتيجة . الاستشارة التي قدمناها الى ايران لو اخذت بها لما حصل الذي حصل ومن أسوأ ما حصل استمرار الحرب لفترة طويلة .

انا سأخذت عن العلاقة بين العراق وامريكا في ضوء التطورات وماذا سيكون عليه المستقبل فيما لو اخطأت امريكا التصرف .

وابتداء أريد ان أتحدث عن ثلاث نقاط الترابط فيما بينها يحصل من خلال الحديث اللاحق .

الكويت كانت دولة وما زالت ضمن حدود غير معروفة ، أي دولة بلا حدود . وحتى 1961 لم تكن الكويت دولة من وجهة نظر الكثيرين . حتى حصل الذي حصل في زمن عبدالكريم قاسم عندما أصدر مرسوماً جمهورياً يعين حاكم الكويت قائممقاماً تحت البصرة . ويجعل الكويت قضاء تابعاً للبصرة .

لماذا حصل هذا في 1961 . كان عبدالكريم قاسم وكل العراقيين يعرفون جيداً أن الكويت عراقية وان حاكم الكويت كان قائممقاماً فعلاً وأنه يستلم الراتب من حاكم البصرة في العهد العثماني .

وهذا الحال استمر على هذا النحو حتى 1913 . ثم بعد ذلك جاءت الحرب العالمية الثانية التي أدت الى ظروف جديدة . إذن الكويت لحد الآن هي دولة ولكن ليس لها حدود . إذن بغض النظر عن التفاصيل ، تطورات الوضع التي حصلت داخلياً في الكويت والدخول العراقي لا تصلح مقياساً للعمل بها في عموم الوطن العربي .

النقطة الاخرى (العراق والسعودية) انتم تعرفون اننا بنينا علاقة جيدة جداً مع السعودية تدرجت من عام 1975 وحتى الآن تطورت بشكل جيد حتى قبل 2 آب .

والثقة بيننا والتنسيق حتى 2 آب كان يجري على كل المستويات . وعلى حد ما نعرفه مما هو معلن في سياسة امريكا ، اذا كان المعلن هو كل سياسة امريكا او جوهرها ، فإننا لم نجد ان علاقة جيدة بين العراق والسعودية تلحق ضرراً بالمصالح الامريكية . فإذا كان هذا المثل صائباً فان العلاقة الجيدة بين العراق والسعودية لن تلحق ضرراً بالمصالح الامريكية وانها كانت احد عوامل الاستقرار في المنطقة لذلك فان اللعب فيها يلحق ضرراً كبيراً بأمن المنطقة وبمصالح الولايات المتحدة .

ومن هذا فإننا لا نفهم معنى التحول الفوري في القول بان الامريكان يخافون من القوة العراقية على السعودية وتواتر الاحاديث والتصريحات بان الدور بعد الكويت سيكون على السعودية .

ولا نعرف فيما اذا كنتم تريدون ان تسبقوا الامور لتدفعوا السعودية لعمل ما ضد العراق مما يؤدي الى رد فعل عراقي عليها لتحقيق شيء ما تريدونه .

الكويت كانت جزءاً من العراق وبدلاً من أن تتصرف بشكل صحيح تصرفت بشكل خاطئ وهذا هو غيرا لوضع مع السعودية التي لها سيادة كاملة .
انتم تعرفون بأننا اول من عرض اتفاقية امن مع السعودية تتضمن عدم التدخل بالشؤون الداخلية وعدم استخدام القوة ، وقد وقعنا على ذلك .
وعرضناها على الكويت ولم توقعها معنا ويبدو انها استلمت نصيحة غربية وقد تكون بريطانية .
كما تعلم كانت بعض الاوساط الغربية متضايقة جداً وتستهزئ من فكرة اتفاقيات عدم التدخل بالشؤون الداخلية وعدم الاعتداء وتقول كما لو ان نفس
الحالة عرضت بين بريطانيا وفرنسا . والحمد لله ان الكويت لم توقع معنا هذه الاتفاقية .
وانا كنت في غابة السرور عندما قررنا دعم المجموعة الثورية في الكويت لانه لم تكن هناك الإتفاقية . لانه لو كان لدينا معهم مثل هذه الاتفاقية لما قمنا
بنفس العمل .
إذن السعودية اخواننا وساعدونا في الحرب وبمبادرة منهم حصلنا على انبوب النفط وساعدونا بمساعدات نقدية كمنح وليس كقروض بعضها لم
نطلبها وانما بمبادرة منهم . اذا مشت الامور كما هو عليه فهم اخواننا الا اذا انتم خربتم الامور بيننا ودفعتموها علينا عند ذلك فسيكون لكل واحد حقه
بالدفاع عن مصالحه الشرعية .
إذن إذا كنتم فعلاً قلقين على السعودية فان قلقكم غير واقعي . وإذا كنتم تتظاهرون بالقلق لكي تدفعوا بالسعودية للقلق فهذا شيء آخر .
نحن سنقول لأشقائنا السعوديين نفس الكلام واننا مستعدون لأية ضمانات مطلوبة لإزالة قلقهم وجعلهم مطمئنين . بل على العكس نشعر ان من واجبنا
الدفاع عن السعودية إذا ما تعرض أمنها للخطر من أجنبي . اما عن العلاقات مع العرب فيمكن ان تتصلح بين ليلة وضحاها ويمكن أيضاً ان تتدهور بين ليلة
وضحاها . ونحن حتى الان لم نلمس منهم أي قلق . الضمانة موجودة وأصلاً لدى السعوديين ونحن أصحاب عهد ونحرص على ذلك .
النقطة الثالثة تتقدم على النتيجة التي سأقولها . هو انه حصلت إشاعات ان صدام حسين اعطى وعداً لبعض المسؤولين العرب بان لا يستخدم القوة بأي
شكل من الاشكال وتحت كل الظروف ضد الكويت .
وعلمنا بصورة أو بأخرى بان بعض المسؤولين العرب اعطوا للأمريكان مثل هذا الاستنتاج . والذي يهمني هو ان لا يأخذ الامريكان أي أنطباع بأننا لا نهتم
بمصداقيتنا .
أنا لم أعط مثل هذا التعهد لهم بان لا نقوم باي عمل عسكري قبل ان ينعقد الاجتماع الذي اتفقنا عليه في جدة . وهذا حصل ، ولم يحصل أي عمل عسكري
كلي او جزئي قبل ذلك الاجتماع ، بل ولاننا كنا ننتظر نتيجة جدية من اجتماع جدة فاننا لم نتخذ القرار الا بعد رجوع نائب الرئيس ليقول لنا الموقف
الكويتي كما هو .
ثم هنالك من يتحدث عن السرعة التي حصل بها العمل وان هذا يعني ان النوايا سبقت اجتماع جدة ، نعم مثل هذا الاحتمال سبق اجتماع جدة والمتراق
مع العمل الوطني الكويتي ، ولكن لم يكن هذا هو الاحتمال رقم واحد الذي كنا نتصرف بموجبه وانما الاحتمال الاساس هو ان نسترجع حقوقنا
بالمفاوضات ، ثم اننا عرب فأمر طبيعي عندما يؤذينا من يؤذينا فنحن نقدر ان نؤمن صلة مع المعارضة مثلما يكون الكويت او غيره قادراً على ان يتصل
بالمعارضة في العراق اذا ما آذاهم .
عندما تعرضت مصالحنا الحيوية الى خطر اكبر مع سبق الاصرار وعجزت كل الوسائل الاخرى عن تقديم حل استخدمنا القوات العسكرية ، والسؤال هنا
الى الرئيس الامريكي والمسؤولين الامريكان : اين هو الخطر على المصالح الامريكية إن كان في الكويت او خارجها ؟
انتم تعرفون ان نفط العراق يباع لكم منذ جئنا الى الحكم رغم ان العلاقات كانت مقطوعة آنذاك ، وازداد حجم التعامل بعد اعادة العلاقات في 1984 والى
ان اتخذتم قراركم بمقاطعة النفط ال عراقي . انكم تستوردون بحدوث تلك الكمية التي نسوقها للخارج . وهذا حصل ليس بمبادرة من الفنيين وبتفضيل
الأسواق وانما تم بقرار سياسي .
نحن نعرف ، الذي هو معلن ، ان مصالحكم هي تجارتكم واستمرار حصولكم على النفط ، فانذ أين هو الخطر الذي يجعلكم تناقشون العمل العسكري الذي
سوف تهزمون به واقول لكم كيف ستتهزمون .
انتم دولة عظمى ونعرف انكم قادرون على إيذاننا كما قلت للسفيرة ، ولكنكم ستخسرون المنطقة بعدها ، وسوف لن تستطيعوا اركاعنا لو استخدمتم كل
أسلحتكم .
تستطيعون ان تدمروا الحلقات العلمية والفنية والاقتصادية والنفطية . ولكن كلما دمرتم اكثر كلما اصبح عبئاً عليكم . ثم اننا بعد ذلك لن نسكت ازاء
مصالحهم في المنطقة .

متى ضربنا في الكويت ؟ عندما أصبح واضحاً لدينا ان المؤامرة ونتائجها الخطيرة او العراق العزيز المسالم المقتدر .
لا تضعونا مرة اخرى بموقف مماثل . عندما نرى بان فرص الحياة تضيق امامنا فسوف نمنعها على غيرها ، انا أعرف انكم دولة عظمى وقادرون على
الإيذاء والتدمير ولكن لا احد يستطيع ان يقضي على الانسان الا الله .

ثم لماذا تريدون معاداتنا ، لقد ارتكبتم اخطاء شنيعة عندما أضعفتكم اصدقاءكم الى حد كبير حتى اصبحوا غير قادرين على التأثير في نظر شعوبهم .
وأدعوكم الى ان تعطوا أصدقاءكم فرصة للعمل والاجتهاد ليعيدوا النظر ولتكوين شخصياتهم ليصبحوا لاأثقين من وجهة نظر شعوبهم .
وفيما نرى بانكم قادرين على تدبير مصالحكم مع العناصر القوية القومية الواقعية اكثر مما انتم قادرين على ضمان مصالحكم مع الضعفاء .
تحدثون عن عدوانية العراق . اذا كان العراق عدوانياً لماذا كنتم تتحاورون معه وهو في الحرب مع ايران ، هل تحبون العدوانيين ؟ اما اذا كنتم تتحدثون
عن تصريح 2 نيسان الماضي فانتم تعرفون اننا لم نصدر مثل هذا التصريح قبل واثناء وبعد الحرب .

لماذا صرحت بذلك ؟ ان بعض الاوساط الغربية والامريكية كانت ترتب الاوضاع لعدوان اسرائيلي ضدنا . فكان لا بد من ذلك قبل ان ترتكب حماقة ضدنا
ونعتقد ان هذا انفع للسلام من السكوت ومن ثم ترتكب اسرائيل حماقتها ثم نرد عليها .

تذكرون اننا اثناء الحرب تلقينا قصفاً مستمراً من ايران على بغداد لحوالي السنة . ثم لما امتلكتنا الصواريخ لم نستخدمها وانما هددها ايران باستخدامها
لو ان إيران استمعت للنصيحة لما استخدمناها ، والحمدلله ان اسرائيل حتى الآن استمعت اليها .

هل هذا أفيد للسلام ؟

بغداد تتحمل صواريخ كثيرة ولكن مدن اسرائيل لا تتحمل ذلك .

إذن نحن مسرورون لعد حصول ذلك .

أليس ان الذي هو مسرور لعدم حصول شيء هو المسالم ام الطرف الذي كان يريد الضرب ؟

الخلاصة : اذا كان الذي يريده الرئيس الامريكي هو المعلن هن سياسته عن المصالح الامريكية في المنطقة كما تحدثنا عنها ، فاننا نرى بان التصعيد
والتوتر والتصرف العسكري هو ضد هذه المصالح ، اما اذا كان هناك مصالح اخرى لامريكا لا نعرفها مما هي غير ما ذكرنا فهذا شيء آخر .
وفي كل الاحوال نحن نريد الاستقرار ونريد السلام ولكننا نكره الخضوع ولن نقبله .

ونكره الجوع لان شعبنا جاع لالف عام ولن يعود اليه ، ونتطلع بشرف وبمجهودات انسانية مشروعة للمستقبل بما في ذلك بناء علاقات متطورة وجيدة
مع الولايات المتحدة الامريكية ان ارادت هي ذلك .

هذه في رسالتي الجديدة التي اريد ان تصل الى الرئيس بوش .

ولسن : شكراً سيادة الرئيس وسأنقلها بالتأكيد الى حكومتي ، وبالبداية سوف انقل هذه الكلمات هاتفياً حال وصولي للسفارة وبعد ذلك سأرسلها
مكتوبة . كما بينتم بحق ان هذا زمن خطير ليس فقط للعلاقات العراقية – الامريكية ولكن بالنسبة للاستقرار في المنطقة والعالم .
الرئيس : لماذا خطيرة للعالم ؟

ولسن : كما أعتقد ان في الاسواق العالمية إضطراباً وعدم استقرار .

الرئيس : انتم عملتم ذلك ، ونحن قبلنا 25 دولاراً للبرميل والان لولا موقفكم بالمقاطعة لاستمر البرميل 21 دولاراً او اقل او اكثر .

لكن عندما تحصل المقاطعة لخمسة ملايين برميل مرة واحدة يحصل الاضطراب ، نحن نلتزم بقرار الاوبك لـ 21 دولاراً للبرميل .. وربما اخرين من التجار
سيستفيدون من الزيادات وليس الشعب الامريكي ، وحجتنا قوية ، جزء صغير من العراق بدلاً من ان يحترم العراق الاكبر ومصالح شجع من البعض لدور
تأمري على العراق ليسحق اقتصاده . فدافعنا عن انفسنا جون تعرض للإضرار بأي طرف آخر مثل امريكا .

ولسن : أشعر وكأنني لمست عصباً بذلك والواقع ان الذي اردت ان اقله انه خلال هذه الايام العصبية والخطيرة يبدو لي من الضروري جداً ان نبقي
الحديث بيننا لنتجنب الحوادث واساءة الحسابات وهذا الاسلوب هو وحده الذي يجعل هذا الموقف المتوتر والعاطفي أسوأ .

لهذا أرحب بهذه الفرصة لنقل هذه الرسالة ، اود ان أبدي ملاحظتين ومن ثم نعود للتأكد من النقاط التي أثرتموها .

وسوف أنقل جواب رئيسي اليكم او الى السيد الوزير .

في الجزء الاول من رسالتكم ، ذكرتم ان الكويت جزء من العراق .

الرئيس : هذا تاريخياً صحيح وعندما نقول ذلك لنؤكد بان كان على الكويت ان تتعاون معه وليس ان تتآمر عليه ، ولكن عقدتها جعلته تتآمر عليه .

هذا خصوصية للعلاقة بين العراق والكويت كان يجب ان تتصرف بموجبها وهي لا توجد مع كل الدول الاخرى مثل مصر والسعودية والتي لديها أفضل العلاقات مع العراق .

ولسن : المهم جداً بالنسبة لي ان أفهم طبيعة العلاقة بالضبط .

الرئيس هذه تحدها طبيعة العلاقة بين شعبي البلدين اولا احدها انا او الامريكان او السوفييت او غيرهم ، ونرى يجب ان تبني على الاخوة المشتركة والاحترام المتبادل .

ولسن : وهل هذا ما اقتدته العلاقات مع الكويت ؟

الرئيس نعم وخاصة في الأشهر الأخيرة ، أركض وراء جابر لكي نؤشر الحدود وهو يقول لا أتركها على الآخرين . ولدينا وقائق على ذلك وكنا نستغرب لماذا يحدث هذا ثم ظهر انه كان يقوم بدور تآمري .

ولسن : شكراً ، النقطة الثانية تحدثتم عن علاقاتكم الاخوية مع السعودية وتحدثتم عن اتفاقية عدم الاعتداء معها .

وانا اود ان أطلعكم علت قلق حكومتي ازاء النوايا العراقية الآن . واشعر انكم قد أجبتم على ذلك القلق بشكل عام ولكن اسمح لي ..

الرئيس : ما الذي يطمئنكم لإزالة القلق ؟

ولسن : انا لا اعلم ولكن سوف أسأل رئيسي ولكني اعرف انك رجل واضح وصريح وارجو ان تعطوني تأكيداتكم بأنه في ظل ظروف هذا اليوم الذي نحن فيه الذي لم يشهد عملاً عسكرياً امريكياً ولا عملاً سعودياً وتحت هذه الظروف التمس منكم التأكيد بانها ليس بنيتكم أي عمل عسكري ضد السعودية .

الرئيس : تستطيع ان تأخذ التأكيد الى السعودية والى كل انسان في الشرق الاوسط . الذي لا يهاجمنا لا نهاجمه . الذي لن يؤذينا لن نؤذيه . الذي يريد صداقتنا نحن نتحمس اكثر منه للصداقة . وهذا منهج نحن نحتاجه ليس لفترة زمنية كما يتصوره البعض وانما لأسباب انسانية ولشعبنا .

اما بالنسبة للسعودية فلم يخطر ببالي مثل هذا السؤال فالعلاقة بيننا متينة الا إذا كان لديكم شيء لا نعرفه .

الملك فهد عندما يزوره جابر وولي العهد الكويتي السابق فمن الطبيعي ان يستقبلهم ولا ننزعج من ذلك . ننزعج فقط اذا ما اعطوا الفرصة لعمل ضد العراق من السعودية .

بالمناسبة سلم لي على الرئيس بوش وان يعتبر جابر والمجموعة التي معه بأنه انتهوا وأصبحوا جزءاً من التاريخ . عائلة الصباح اصبحت تاريخياً .

ليس امراً غير مشروع ان يقلق احد على مصالحه . نريد ان نفهم تماماً أين هي المصالح المشروعة لامريكا وكيف نطمئننا على مصالحها ؟

انا اقول لك هذا الكلام ليس تكتيكاً ليس لانكم تقاطعوننا ، وان حرصت ان لا أراك الا بعد ان تقاطعوننا ، وانا لا أسعى هنا الى رفع المقاطعة ولا القول بان العمل الذي حصل يجب ان يرحب به من قبل امريكا . وانما ان نفهم اين هو المشروع من مصالحها وان ننصح امريكا بان لا تندفع بعيداً ويصعب بعدها التراجع .

ولسن : انا سأنقل هذا الى حكومتي .

جئت هنا بثلاثة افكار في ذهني تعكس قلق حكومتي :

الاول : طبيعة الغزو . وتعلمون جيداً موقف حكومتي منه .

الثاني : النيات المستقبلية تجاه السعودية وقد أجبتم حول ذلك .

الثالث : يتعلق بسلامة المواطنين الامريكان وخاصة توفير الفرصة للمواطنين الامريكان للمغادرة . وهذا يشمل الامريكان في الكويت وبرغم الانسحاب .

الرئيس : كيف تقولون انه لم يحصل انسحاب ثم تقولون شيء آخر بعد ذلك .

ولسن : أنا شاهدت ثلاث قوافل من البصرة وقد أبلغت واشنطن بذلك .

الرئيس : أخذت ثلاثة أيام لقواتنا للدخول الى الكويت وبالنسبة للإنسحاب لا يمكن ان يتم بيوم واحد . وان انسحاب القوات يعتمد على الجو الدولي ولن نترك الكويت لقمة سائغة لأحد ولو قاتلنا الكون كله .

ولو ازداد التهديد على الكويت سنضعف القوات هناك . وكلما التهديد كان بحجم معين كلما تغير حجم القوات . وعندما ينتهي التهديد تنسحب كل القوات ولا نريد تحويل الكويت الى لبنان .

واعتقد ان ليس من المصلحة ان ينسحب الجيش العراقي بسرعة وان تترك الكويت للأطراف المتصارعة .
الحكومة المؤقتة استلمت نصائح بتشكيل ميليشيات مختلفة ونحن نصحناهم بالاكثفاء بالجيش الشعبي .
وما يتعلق بالامريكان الموجودين في الكويت والعراق الآن ممنوع ال سفر للجميع عراقيين وأجانب في العراق والكويت . ومصادرهم تعلم بان جيشنا
هناك تصرف بمنتهى الإنضباط تجاه الأجانب مع ذلك حسب بيان الحكومة الكويتية التي سمحت لهم بالسفر الى العراق وهنا الأمن واضح ومؤمن .
ولسن : هل يمكن أن أسألكم مباشرة ؟ متى ستسمحون للمواطنين الامريكان المقيمين والزائرين بالمغادرة ؟

الرئيس : بل متى سنسمح للأجانب عموماً بالمغادرة ؟

ولسن : أنا مسرور للاعتماد ولكن لا أسمح لنفسي بالحديث نيابة عن الآخرين .

الرئيس : أردت ان أوضح بان الموضوع لا يشمل الامريكان فقط . ومن المؤكد اننا سنناقش هذا وبوقت غير طويل . وسوف يكون لديكم علم .

ولسن : اسمحوا لي ان أحتكم على أن تأتي دراستكم لهذا الامر عاجلاً وليس آجلاً لأنها مسألة عاطفية حساسة لحكومتى وشعبي .

الرئيس : نفهم ذلك ونقدره والقضايا الانسانية مفهومة .

ولسن : أخيراً أود ان أقول شيئاً .

أشترتم الى حسن تصرف القوات العراقية وقد تم تأكيد هذا الأمر عليّ من قبل الوزير ووكيل الوزارة . ويتوفر لدي كل ما يجعلني أؤمن بأن هذا هو طبيعة
الامر . لهذا اسمحوا ان أجب انتباه حكومتكم على اعتبار انها قضية مهمة . ليلة أمس بيت مستشار السفارة الامريكية في الكويت تم اختراقه بواسطة
بعض الجنود العراقية وذلك مغاير للسياسة التي أشترتم اليها ، إضافة الى كونه خرقاً للحصانة الدبلوماسية . ما كنت طرحت هذا الموضوع لولا انكم
طرحتموه .

الرئيس : يوم أمس قابلت احد ضباطنا وتحدث لي عن عناصر تقوم بأعمال ضد الامن في بعض المخازن (آسيوية وسعودية وغيرهم) وعلى أية حال
فإذا كان جنود عراقيون قد قاموا بذلك فسوف نقول ذلك لكم وسنقول لكم انه كان خطأنا واننا سوف نحاسب لانه ضد سياستنا .

ولسن : ملاحظة اخيرة ، خلال هذه الايام العصبية وخاصة حول سلامة مواطنينا الامريكان .

الرئيس : هل تنوون الهجوم علينا ولذلك تريدون أخلاءهم ؟

ولسن : كلا وانما واجبي اعطاءهم حق المغادرة .

أنا سوف أبقى هنا وأنا أحب الحياة . ولكن أريد القول انه خلال الأزمة فتحت أمامي كل الابواب وامام زملائي في وزارة الخارجية من الساعة 8 صباحاً
وحتى 4 صباحاً وأنا أقدر ذلك . وأنا أقدر رغبتكم في ان تلتقوا معي وان تضعوني بصورة واضحة عن مصير مواطنينا في الكويت .

الرئيس : اطمئن عليهم بقدر تعلق سلطتنا وصلاحيتنا وجيشنا في الكويت .

ولسن : ولكن أود أن أثنى على الحرفية العالية لعمل وزارة الخارجية . الحوار هو شريان الحياة بالنسبة للدبلوماسيين وكذلك للسياسيين .

الرئيس : أمر طبيعى انك تثني على زملائك لم تثن عليّ بطبي لك شخصياً لنقل الرسالة الى بوش .

ولسن : آخر مرة قابلت رئيساً في افريقيا طلبت منه الرجوع الى كاتب المحضر ووجد ذلك في المحضر ، وإذا رجعت للمحضر ترون أنني شكرتكم جداً .